كتاب الجمهورية

اول ديسمبر سنة ١٩٧١ العدد ٣٣

الغلاف بريشة محمود فرج

أمين الرافعي

مناضل مصري
من أجل الدستور وحرية الرأي

(١٨٨٦ - ١٩٢٧)

صبري أبو المجد

يا أمينَ الحقوقِ أدّيتَ حتى

لم تخُن مصرَ فى الحقوقِ فتيلا

ولو اسْطَعْتَ زِدْتَ مِصرَ من

الحقِّ على نيلِها المباركِ نِيلَا

تُنشدُ الناسَ فى القضية لحنا

كالحواريِّ رَتَّل الإنجيلا

ما تُبالى مضيتَ وحدَك تحمِى

حوزَةَ الحقِّ أم مضيتَ قَبِيلا

احمد شوقى

فى

رثاء أمين الرافعى



هذا الكتاب
... وصاحبه
للاستاذ الكبير :
عبد الرحمن الرافعي

عندما طلب منى الاستاذ صبرى ابو المجد ان اكتب مقدمة لكتابه القيم عن « امين الرافعى » ترددت واعتذرت بادىء الامر ، اذ استشعرت الحرج فى ان اكتب عن اخى الشقيق . لكن الاستاذ صبرى لم يقبل منى هذا الاعتذار ، وحاجنى بان صلتى بامين لم تمنعنى من الكتابة عنه فيما ارخت لمصطفى كامل ، ومحمد فريد ، وثورة ١٩١٩ وفى « اعقاب الثورة » . فلم يسعنى بازاء هذه الحجة السليمة الا أن أنزل على رغبته ، وتذكرت ما كتبت فى هذا الصدد تعليقا على نبأ وفاة امين اذ قلت : « ان أمينا لم يكن اخى فحسب بل ان منزلته كمجاهد فى الحركة القومية تعلو فى نفسى على منزلته كأخ أكبر لى ، ولولا ذلك لما شعرت نحوه بهذا الحب العميق الذى كان يغمرنى فى حياته واستمر على الاعوام بعد وفاته » .

على هذا الاعتبار وبهذه الروح اكتب هذه المقدمة ، أكتبها فى نطاق ضيق وفى خجل واستحياء .

ان الصحافة الوطنية هى ركن من اركان الحركة القومية ، وهى معاصرة لها ، ومتصلة اتصالا وثيقا بتطورها وتقدمها ، ولها الفضل الكبير فى بعث الروح الوطنية وتثقيف المواطنين وحثهم على المثابرة فى الجهاد ، والمساهمة فى اعبائه ، والتطلع الى المثل العليا فى مختلف الميادين : فى السياسة والعلم والاجتماع والاقتصاد ، فى تربية الاخلاق الفاضلة واعداد المواطن الصالح وتكوين الرأى العام الناضج الواعى .

والصحف فى الجملة معالم للحركة الوطنية ، ومرآة صادقة لحوادثها وتطوراتها الهامة ، ولها فى هذه

النواحي رسالة سامية يحملها جنود الصحافة وأعلامها ؛ وهي رسالة شاقة أحيانا وخاصة اذا كانت صحافة عقيدة ومبدأ . فالصحفي ذو العقيدة قد يضطر الى مخاصمة الاقوياء وذوى النفوذ والسلطان في سبيل عقيدته ومبدئه وقد يواجه صدمات لا يتحملها الا المجاهدون الصابرون وقد يواجه احيانا معارضة من الرأى العام اذا اختلف واياه في مسالة اساسية يرى فيها وجه الحق فيدافع عنه على خلاف ما يتجه اليه الرأى العام ، وكم من مرة تخطيء فيها الجماهير وتتنكب سبيل الهدى والرشاد ثم ترجع عن خطئها بعد فوات الاوان .

ولقد كان امين ـ رحمه الله ـ من أعلام صحافة المبدأ والعقيدة .. حمل رسالة الوطنية في عصر كانت الظروف والملابسات تناهضها وتخذلها ولا تبشر لها باى نجاح ؛ خاصم الاحتلال وهو في أوج جبروته وطغيانه ، وخاصم القصر حين كان قويا بتحالفه مع الاحتلال ، وخاصم سياسة الاستسلام للاستعمار حين كانت هذه السياسة ثابتة الدعائم قوية الاركان ينضوى اليها الافراد والجماعات ويتهافت عليها الانصار والاعوان .. جاهد امين في هذا الجو المليء بالأشواك والعقبات ، فاستهدف لكثير من الاذى والعنف والخذلان ، ولم يهن ولم يتراجع ولم يتحول عن مبدئه وعقيدته ، واستمر ماضيا في سبيله حتى وافاه الاجل المحتوم في الواحد والأربعين من عمره .

ان للصحافة في مصر والشرق تاريخا جديرا بالتدوين وان تاريخها ليتمثل اكثر ما يتمثل في تاريخ اعلامها النابهين وجنودها المجهولين وشهدائها المعدودين ، وهؤلاء الشهداء يحملون الفضل الاكبر في اقامة صرحها ورفعة شأنها ، فمنهم روادها الاولون وهم الذين عبدوا لها طريق النجاح ورسموا لزملائهم صورة رائعة للرسالة الصحفية .. ولئن لم يكن مطلوبا من الصحفيين ان يقلدوهم في الاستشهاد فان حياتهم مع ذلك تظل معينا

لا ينضب من الصدق والنزاهة والاخلاص فى القـــول والعمل ، وهذا وحده يكفي لاستدامة فضلهم وتخليـد ذكراهم .

وهذا الكتاب الذى وضعه الاسـاذ صبرى أبو المجـد عن أمين الرافعى يحتوى على صفحات من جهـاد الصحافة فى سبيل المثل العليا ، وما أدته للبــــلاد من جليــــل الخدمات .

والاستاذ صبرى ابو المجد هو خيـــر من يكتب عن امين . فهو من حملة رســــالته السائرين على نهجه .. ولقد عرفته وتتبعته منذ أن كان طالبا فى كلية الحقوق الى ان تخرج فيها وشق طريقه فى الحيـــاة ، فرأيتـه فى الطليعة من شباب الوطنية اعتنق مبادئها القوية وناضــل عنها على مر السنين وتعاقب العهود .. ثابر عليها وكرس لها قلمه وانتاجه ولم يتحول عنها رغم ما لهذا التحـول من دوافع ومغريات وضغوط ومؤثرات .. لم تستهوه المنافع الشخصية ولا الشعوذة السياسية ، بل ظل متمســكا بمبادىء الوطنية وتقاليدها السليمة . ولقـــد اعجبت به من اجل ذلك وشعرت نحوه بابوة روحيـــة جعلتنى ارجو له دوام التوفيق والنجاح فيما هو بسبيله من جهاد خالص لله والوطن .

عبد الرحمن الرافعي

رسالة الصحفي للاستاذ الكبير فكري اباظه .

نعم كان صبري ابو المجد ، وهو يقرر اصدار مؤلفه هذا عن امين الرافعي ، يؤدى واجبا من اقدس واجباته لوطني مصري عربي ، وكمؤرخ باحث لا ينسى الأبطال الابرار ، وكصحفي امين شريف ينشر على زملائه مثلا أعلى للصحفيين الامناء الشرفاء . وأمين الرافعي كان صحفيا محررا تارة ، وصحفيا مالكا لصحيفه تارة اخرى . ولكنه في الحالين لم يكن صحفيا يتجه الى رواج صحيفته بالأسلوب التجاري المعروف ، ولا كان صحفيا يرهب بطش الاستعمار البريطاني ولا ولي الامر حاكم البلد ، ولا كل الحكومات التي كانت تستمد سلطانها ونفوذها من الانجليز وعهود الخديوية والسلطنة والملكية .

كان امين الرافعي صحفيا ذا رسالة وفي سبيل رسالته الوطنية كان قدسا من القديسين ، وكان ضحية وطنية من الضحايا الوطنية المخلصة ... كان اذا اقتضى الأمر .. اعلن حربه الشعواء على كل تلك القوى الانجليزية والخديوية والملكية ، والحكومات الخائفة والمائلة ، ولا يكترث اى اكتراث للاضطهاد والمساواة والوقف والتعطل والاعتقال والسجن .. كان ايمانه اعلى وأرفع واقوى من كل هذه القوى مجتمعة .

اذكر ، فيما اذكر ، انه في مناسبات عديدة قضى عليه فيها ان يعتزل الصحافة مضطرا .. عرضت عليه المناصب المغرية ذات الجاه والنفوذ والمرتبات المرتفعة ،

فكان يرفض رفضا باتا ان يطاطيء راسه ويقصف قلمه ويتوقف عن اداء رسالته هاربا من الميدان الذى اختاره رغم حاجته الملحة الى عصب الحياة وهو المال ، او قل بعبارة ادق الى لقمة العيش ، ورفض مرارا ان يحترف المحاماة لانه راى بعد تجربة قصيرة ان قضاياها لا ترتفع الى المستوى الاخلاقي لقضيته الكبرى وهى قضية الوطنية وقضية الحرية وقضية الجلاء وقضية الاستقلال .

اذكر ، فيما اذكر ، انه عندما تولى رياسة تحرير « الاخبار » باعتبارها لسانا من السنة سعد زغلول والوفد ، كانت الارباح بهطل هطول المطر ، على خزينة الجريدة . ولكن حينما لمح امين الرافعى بعض الانحراف وبعض الاعوجاج وبعض التردد حمل حملته الصحفية الخالدة مطالبا بتعديل الاساس اى تعديل برنامج الوفد المصرى فى مطالبه الوطنية الحازمة ، وبالرغم من رجاء الاصدقاء فى ان يخفف الحملة فانه ابى اباء الابن البار لواجبه ورسالته الصحفية فهبط توزيع الجريدة . وكم من مرة جلست الى جواره والحجوزات تسرى على المطبعة واثاث الجريدة ، ومرافقها بل على المنزل .. تلك الحجوزات القضائية والادارية التي كانت نذيرا بالافلاس كنت اكثر من مرة بجواره وهو هو ، هو امين الرافعى بجلاله وسموه وارتفاعه وايمانه على سجادة الصلاة .. آمنا مطمئنا .. مؤثرا عبادة ربه على عبادة الاصنام .

نعم هذا الكتاب الذى اصدره صديقى وزميلى صبرى ابو المجد ، بعد رتل طويل من مؤلفاته الوطنية ، هو قمة كتبه ، انه رسالة الصحفى المثالى النموذجى الى زملائه الصحفيين ، انه دعوة حارة للاقتداء بصاحب هذه الرسالة ليكون الصحفى صاحب رسالة ولا يكون جهاز رواج وذيوع لمجرد الرواج والذيوع .

فكرى اباظه

مقدمة

اربعة من أطفال قريتنا زاروا القاهرة لأولّ مرة فى مناسبة مولد السيدة زينب ، ووقفوا جميعا وانا من بينهم مبهوتين امام الكتب القديمة الرخيصة المعروضة على اسوار حديقة الأزبكية ، واشترى كل منهم ما يتلاءم وميزانيته الضئيلة من مغامرات « ارسين لوبين » و « حافظ نجيب » أما انا فقد اغرانى كتاب ضخم يزيد عدد صفحاته على السبعمائة صفحة ، فاشتريته بثلاثة قروش (تعريفة) ، ولم اعرف عن هذا الكتاب الا انه صفقة رابحة لكثرة ما احتوى من صفحات .

وفى القرية ـ التى خلت من المتعلمين سوانا ـ بذلت مجهودات مضنية لكى افك رموز هذا الكتاب ، وأكثر من مرة كنت احمله الى شجرة الجميز فى نهاية حقلنا الصغير القريب من القرية لكى اعرف بعض ما فيه ولكى اتباهى امام الاصدقاء والرفاق بأننى أملك اضخم كتاب فى قريتنا .. وبمرور الزمن أصبح هذا الكتاب رفيق الصبا ، واصبحت قادرا على أن افهم بعض ما فيه ، ولست اعدو الحقيقة اذا قلت ان شخصية صاحب الكتاب قد اسرتنى وجعلتنى افكر فيها اكثر مما افكر فى ابى وأمى ، وفى دراستى .. فلقد كان الكتاب مجموعة ضخمة من

العواطف الرقيقة المخلصة الحانية ، التى اظهرها بصدق وايمان مجموعة من الكتاب والشعراء تجاه رجل فقير متواضع ، فدائى مؤمن ، ترك هذه الدنيا وهو لم يتجاوز بعد الحادية والأربعين من عمره .

ولما لم يكن فى قريتنا من يستطيع افهامى ما لم اعرفه ! فقد حملته معى الى « البندر » عندما لم تصبح مدرسة القرية المجاورة لقريتنا كافية لتحقيق طموحى وآمالى ، وفى «البندر» حملت الكتاب الى مدرس اللغة العربية الذى كان يحبنى ويعطف على ويعاملنى كأحد ابنائه ، ورحب المدرس بالكتاب وصاحبه ووعدنى بأن يشرح لى ما جاء فى هذا الكتاب . وعندما علم ناظر المدرسة بنبأ الكتاب ثار وغضب وارغى وازبد واستولى على الكتاب وصادره .. ومنعنى من أن اقرأ بعض ما فيه الا فى وقت الراحة بين الدروس .. وكم كان يلذ لى ان اذهب كل « فسحة » الى مكتب حضرة الناظر لاقرأ بعض ما فى الكتاب فى الوقت الذى لم يكن فيه المدرسون قادرين على دخول مكتب الناظر الا بعد استئذان !!

وانقذنى مدرسى من المشكلة عندما اعطانى نسخة اخرى من الكتاب طالبا منى ان اقراها فى بيتنا وذلك لأنه راى الناظر يضيق ذرعا حين اذهب الى مكتبه لاقرأ بعض الكتاب ، ولانه خشى ان يفصلنى الناظر الذى كان ينتمى الى حزب كان يعاديه صاحب الكتاب ، ولأول مرة بدات اشغل نفسى بما يسمى بالأحزاب وبالخلافات التى بين هذه الأحزاب .. كل ذلك ولم اكن قد جاوزت الثالثة عشرة من عمرى .

وذات مرة أمسكت القلم ورحت أكتب بضعة اسطر بلغة بسيطة متواضعة للغاية عن صاحب الكتاب بمناسبة قرب ذكراه فى ٢٩ ديسمبر ولم اتردد فى ان ارسل هذه السطور الى رئيس تحرير « الأهرام » فأنا لم أر فى حياتى من الجرائد اليومية الا

صحيفة « الاهرام » التى كان يشتريها عم الشيخ رمضان كل يوم من قطار الدلتا الذى يمر بقريتنا ، وكانت هذه هى النسخة الوحيدة التى تدخل القرية تمر على العمدة والمشايخ وبعض الذين يعرفون القراءة والكتابة وبعد ذلك بشهور تقريبا كان يمكن لبعض الأطفال مثلى استعارتها من عم الشيخ رمضان .. ودفعت قرش تعريفة ثمنا لطابع البريد وحملت الخطاب بنفسى الى المحطة حيث سلمته مباشرة الى عامل البريد فى القطار الذاهب الى البندر وجلست انتظر .. واكثر من مرة كان الندم ينتابنى من اجل ضياع قرش التعريفة ومن اجل الوهم الذى سيطر على اذ كيف اطمع وانا الطفل القروى الساذج فى ان ارى اسمى منشورا فى صحيفة يومية .. وذات يوم نادانى عم الشيخ رمضان رحمه الله ليسألنى ان كان الاسم المنشور فى «الأهرام» يوم ٢٩ ديسمبر هو اسمى أم هى المصادفة ، واطلعنى على اسمى مطبوعا لاول مرة فى الأهرام .. وعلمت فيما بعد ان الزميل الكبير محمد نجيب ، وهو من تلاميذ الفقيد ، قد نقح الكلمة ونشرها على رأس عمود وفى مكان بارز ، وكان طبعا لا يعرفنى ، وذلك بعد أن قدم لها بالعبارة التالية « تلقينا من الادب فلان كلمة قال فيها » . وكدت أقبل الصحيفة واقبل عم رمضان فى الوقت ذاته فقد كان هذا الذى بين يدى اجمل ما تلقيته فى حياتى من هدايا .

وكانت القصة (قصة الكلمة المنشورة فى الاهرام) حديث قريتنا ومدرستنا فى البندر لأيام عديدة وكانت نقطة تحول فى تاريخ حياتى .. ومضت الأيام وكلما كبرت كبر معى حبى لصاحب الكتاب وكلما نما تفكيرى زاد فى الوقت ذاته اعجابى بصاحب الكتاب .. وتطور الحب والاعجاب الى حد دعانى الى ان اقيم وانا الذى لم اتجاوز السادسة عشرة من عمرى حفل تأبين لصاحب الكتاب فى مدينة المنصورة وفى جمعية المساعى المشكورة بالذات بعد ان شملنى برعايته وعنايته رئيس هذه

الجمعية واحد اقطاب الفدائية الوطنية الدكتور عبد الغفار متولي وتلقيت يومها كتاب اعتذار عن عدم الحضـور من عبد الرحمن الرافعى شقيق صاحب الكتاب « أمين الرافعى » واسـتدعانى رجال الشرطة .. فقد كنا فى وقت الحرب وكان ممنوعا اقامة الاحتفالات الا باذن خاص وكان تحقيق ، وكان سجن لم يستغرق أكثر من ليـلة ، وكانت علقة سـاخنة لاتزال آثارهـا باقية فى الجسم حتى الآن ، ومن سوء الحظ أن الخطاب الذى أرسله الى الأستاذ عبد الرحمن الرافعى كان احد الادلة التى اسـتند اليها رجال الشرطة عندما قبض على فى قضية اغتيال المرحوم أحمد ماهر سنة ١٩٤٥ . وقد حاول البوليس السياسى الربط بين هـذا الخطاب وبين وجود صـلة بينى وبين محمـود العيسوى ــ قاتل احمد ماهر ــ الذى كان يعمـل فى مكتب عبد الرحمن الرافعى . وبقيت فى السجن بسبب هذا الكتاب أكثر من سبعة شهور ولم يستطع ذلك كله أن يقلل من حبى لأمين الرافعى ومن كثرة ترددى على شقيقه عبد الرحمن الرافعى الذى اتخذته بعد ان انتقلت الى القاهرة لأدرس الحقـوق فى جامعة القاهرة ابا روحيا بكل ما فى الأبوة الروحية من معان ، ولسـت بمسـتطيع القول بأننى قد تخلصت من سيطرة امين الرافعى على جوارحى واحساسى حتى عندما قررت الاشتغال بالصحافة ، وقيل لى ان لك مبلغا من المال فى خزينة الدار ، التى اعمل بها لم أذهب الى الخزينة لتسلم المبلغ لأنى لم أكن اتصور ان كاتبا يأخذ أجـرا لقاء ما يكتبه !

ومنذ حوالى عشر سـنوات رغبت فى أن أكتب عن الانسان الذى احببته الى حـد التقديس ، واعجبت به اعجـابا ما بعده اعجاب ، ولكننى احسست برهبة الموقف فان الرجل لم أره بل لم اسمع عنه الا القليل النادر . فكيف اذن اكتب عنه كتابا ؟! وانا لا أستطيع ان اكتب الا اذا كان الموضوع الذى أكتب عنه مستوفيا كل شرائطه ومسـتلزماته . وحملت رغبتى الحـارة هـذه الى

أستاذنا عبد الرحمن الرافعى ـ طيب الله ثراه ـ وجلس الرجل كعادته يسمع فى هدوء ، وانا أروى له هدفى من اخــراج هــذا الكتاب ، فانا لا اريد اسباغ نوع من البطــولة على فرد ، وانما اريد ان اعطى مثلا للشعب .. وانا لا اريد ان اعيش فى متاحف التاريخ لأبحث عن جثث الموتى وانما اريد ان أقوم بواجب تجاه انفسنا قبل ان اقوم به تجاه شــهيدنا الرافعى .. ولم يستطع عبد الرحمن الرافعى ، الا ان يرحب بفكرتى والخجل يغلف كل كلمة من كلماته وكل حركة من حركاته ، كأنما كان الرافعى ينتظر مثل هذه اللحظة لأن الرجل الذى اخذ على عاتقه كتابة تاريخناالقومى بأحداثه الكبرى ، وأعلامه الافذاذ ، لم يستطع أن يقوم بواجبه نحو اعز الناس اليه . لقد ارخ لمصطفى كامل ومحمد فريد ،ولم يستطع ان يؤرخ لثالث الثلاثة أمين الرافعى لأنه شقيقه . لقد كان يشعر بمنتهى الحرج فى ان يكتب عن شقيقه !! ودفع الى عبد الرحمن الرافعى بكل ما خلفه شقيقه من كتب ومــذكرات وخطابات ومقالات وصور ، قائلا : « قد يكون ذلك كله عونا لك على أداء مهمتك وقد يعوضك عن النقص الذى تحس به وانت تكتب عن رجل لم تره » . ووجدت امينا كعبد الرحمن يحتفظ بكل صغيرة وكبيرة من اوراقه وخطابات الناس اليه بلمسودات الخطابات التى كان يرسلها الى أصدقائه وزملائه ومريديه ، ففى مخلفاته مثلا : ايصــالات الخطابات المســجلة التى كان يرسلها وبطاقات الانتخابات الخاصة به وتذاكر الحفلات التى كان يدعى اليها وبطاقات المعايدة التى كانت تصل اليه ، والمقالات التى كان يرسلها بعض القراء اليه فينشرها ، أو لا ينشرها . وفى هــذه المخلفات كــذلك كل ما يتعلق بالقضــية المصرية من مذكرات ووثائق من بينها خطابات من سعد ، وثروت والصوفانى وحاكم البحرين وكمال اتاتورك ، وعصمت اينونو ومــدام جوليت آدم وبيير لوتى الكاتب الفرنسى المعروف وغيرهم وغيرهم ..وجدت مثلا ــ ضمن أوراق الرافعى ــ سهما قيمته جنيــه مصرى .

« جزء من أربعة آلاف سهم صـافى الايراد السنوى بجريدة الدستور » ووجدت سندا بمبلغ ٥٠٠ مليم « ايصال رسم دخول شركة التعاون المالى التجارية بالقاهرة » (١٩١٣) ووجدت أيضا « استمارة استعارة » تحمل اسمه من الكتبخانة الخديوية بتاريخ ١٥-٢-١٩٠٨ تحت ضمانة المسيو هنرى لامبا المدرس «بمدرسة الحقوق الخديوية » ودعوة من محافظة القاهرة بتاريخ ١٧-٢-١٩١٤ لحضور جلسة بيع الأراضي المرغوب نزع ملكيتها من ملك نادي المدارس العليا بشارع المبتديان لتوسيع مدرسة دار العلوم وخطابا من نقابة عمال الصنائع اليدوية بعمارة الأوقاف الجديدة بالعتبة الخضراء تخبره فيه « باختياره عضوا بمجلس الادارة لما عهد فيه من تعضيد الاعمال الخيرية » !! ووجدت خطابات سرية عديدة ، ضمن ما تركه أمين الرافعى ، تدل على المكانة التى وصل اليها وما كان يتمتع به من ثقة تامة لدى خصومه وأنصاره على السواء . مثلا خطاب للاستاذ وحيد الدين الأيوبى صاحب الكلمة المعروفة « تدك الاهرام ويغور النيل ولا نرى تمثالا لاسماعيل » يقول فيه : « أقسم بشرفى انى لم أقابل توفيق نسيم باشا منذ توليه رياسة الديوان الملكى الى هذه الساعة ، ولم أر حسن نشأت بك قبل تعيينه بالسراى الى الآن ، غير مرتين مصادفة اولاهما بمحل « صولت » حيث كان معى بهى الدين بركات «بك» والدكتور الجندى وغيرهما ، وثانيتهما بمنزل الدكتور الجندى فى ظهر يوم كنت مدعوا فيه عنده لتناول الطعام وكان معنا الأستاذ البيلى ولم يتعد حديثى مع حسن بك قولى له : انه شائع أن جلالة الملك لا يريد أن يمنح البلد دستورا وانى أعتقد ان ذلك مقصود منه ايجاد ما ينفر الامة من جلالته . فنفى حسن بك الاشاعة وانتهى الحديث ، وانى يا حضرة الصديق اردت ان ابين لك ما تقدم ازاء ما ظننت فى مما جعلك تسمينى نصير الوزارة لانى فى الحقيقة لست نصيرا للملك أو وزير بل انى نصير لاعتقادى وحده » .

وينهى وحيد الايوبى خطابه بقوله : « اريد ان اقسم لك بشرفى بانى لم ادخل سراى عابدين ولا اية سراية سلطانية او ملكية غير سراى هليوبوليس ، لتعزية الامير كمال الدين فى موت ابيه الى هذه الساعة من يوم زرت فيه بالسراى محمود شكرى باشا الذى كان رئيسا للديوان العالى ، وكان ذلك فى عهد السلطان لأوصيه برجل كان مقدما طلبا لوظيفة صراف »

ويكتب سعد زغلول الى امين الرافعى فى ٢٤ يناير ١٩٢٠ من باريس قائلا . أشكر مع اخوانى حضرتكم على عبارات الثناء التى وجهتموها لنا فى خطابكم وما الفضل فى موجب هذا الثناء الا للامة التى عضدتنا باتحادها وتضامن أفرادها وتفانيها فى حب الاستقلال واتيانها كل يوم بآية من آيات الرقى الاجتماعى ومعجزة من معجزات التقدم فى السياسة ، حتى بهرت العالم بنهضتها ، وبهتت الخصوم بحسن تصرفها ، فاعلت حقها واسقطت باطلهم ، واننا نقدم لها أوفر تشكراتنا لاتحادها على توكيلنا واجماعها على الامتناع عن المفاوضة الا بواسطتنا وتعتبر هذه الثقة الاجماعية اجل نعمة اسبغها الله علينا واكبر شرف تتحلى به نفوسنا كما نعتبر ان الواجب الذى يفرضه هذا الشرف علينا وتلزمنا تلك الثقة بالوفاء به هو أكبر واجب تتحمله امة فى العالم ندعو الله أن يوفقنا للقيام به وان تؤكدوا لمن يحملهم فرط الحب لبلادهم على شىء من التظنن بالعاملين ان يعلموا أن هؤلاء احرص الناس على مصلحتها ولا يعملون الا لهذه المصلحة طوعا لسلطان ايمانهم واجابة لنداء شعورهم ولا يتأثرون باى مؤثر يثنيهم عن الوفاء بعهدهم والعدول عن المطلب الأسمى ، الذى نادوا به من تلقاء نفوسهم وجعلوه غاية لسعيهم وهو مطلب الاستقلال التام » .

ويمضى سعد زغلول فى خطابه الذى ننشره هنا لأول مرة قائلا : « ان القوة النفسية ، التى دفعتهم للمناداة به وسيوف الحماية مشهورة فوق رؤوسهم وسهام الأحكام العرفية مصوبة

نحو صــدورهم لم تزدهم الا شــدة بالتفـاف الأمة حـولهم ؟ وتعضيدها لهم ، وما دام هذا الاتحاد شائبا فلا يمس الضعف عزائمهم ، وما دام هذا الثبات فالنجاح مؤكـد باذن الله » .
ويضع سعد زغلول حاشية لخطابه فيها : نرسل اليكم الأوراق التى طلبتموها على الطريقة التى ذكرتموها . ولقد أحسنتم فى المعلومات التى أفضيتم بها الى مكاتبى الجرائد عندكم وقد كتبنا منذ بضعة أيام جوابا على تقرير اللجنة ـ لجنة ملنر ـ وتحدون فيه تفصيلات عن رأينا فى بلاغ ملنر ، وهى تسركم وتسر الأمة جميعا » .

ومن بين مخلفات أمين الرافعى رسالة من اسماعيل اباظة باشا صادرة من بردين بتاريخ ١-١-١٩٢٠ يقول فيها « أدعوك لأن تضم صوتك المسموع الى صــوت رجائى لحضرة صاحب الرسالة التى نشرت بجريدة الأجبشـيان مايل وظهـر تعريبها بجريدة الاهرام اليـوم (الجمعـة) بأن نزيد « الاوروباويين » وخصوصا الانجليز بيانا عن حركتنا الوطنية التى ان تجاهلوها فلا تقوم لنا حجة على تجاهلهم لها الا اذا خاطبناهم بلغتهم ». وأن تضم تفانيك فى خدمة الوطن الى غيرتك عليه ونبحث معا عمن يجيد الكتابة باللغـة الانجليزية لنتمـكن من شرح قضيتنا بالجرائد الانجليزية حتى لا يبقى لمتجاهل عذر فى تشويه حركتنا الحالية .

ويمضى اسـماعيل أباظة فى خطابه قائلا : أرجـو الا تمل الكتابة ولا تسأم من تشجيع غيرك على الـكتابة فى الحيلولة بين الامة وبين تهافتها على البلاغ الذى أصدره اللورد ملنر فالحذار من هذه المنـاورة التى اسـتعملنا فيها ما اعتـدنا من التسامح القديم أضعنا كل ما ضحينا به من عرض ومال ودماء ،والحذار الحذار من التخاطب مع فخامته بأى نوع كان وتحت اى ستار كان الا اذا تعزز هذا البلاغ ببـلاغ آخر من البرلمان الانجليزى يجاهر فيه باستقلال مصر استقلالا تاما » .

وبين مخلفات الرافعى رسالة من الأستاذ سامى نجيب المحامى يعتذر فيها للرافعى عن سؤاله عن مقالة سوف تنشر فى الاخبار وكان من رأى الرافعى أن المقالة قبل النشر ملك للجريدة وملك لصاحبها أما بعد النشر فهى ملك للرأى العام ، وقال الاستاذ سامى نجيب (٧ نوفمبر ١٩٢٣) « لم أشعر فى حياتى بألم بل بخجل كالذى اعترانى وأنا متشرف بزيارتكم اليوم وذلك للخاطر البعيد جدا ، عن تفكيرى والذى مر بكم وعلم الله لولا احترام خاص لشخصكم وتقدير ممتاز لكل ما يكتب فى صحيفتكم الغراء ، ولولا أن اخلاقكم الدمثة المتواضعة ذائع أمرها شائع ذكراها ، بل الزمالة ولو بغير صداقة خاصة ، لولا هذا كله ما سمحت لنفسى مطلقا ان اسعى للتشرف بزيارتكم رجاء المحادثة فى مسألة قانونية هى الآن شغل الوزارة المطروح أمامها تظلم بعض الموظفين المرشحين .. سعيت اليكم راجيا سماحكم باطلاعى على مقالة سمعت أنها ستنشر فى صحيفتكم بهذا الصدد ولم يك يدور بخلدى أبدا انكم بحسن تقديركم المشهور تفسرون رجائى هذا بحق ادعيه أو رقابة أزعمها » .

على انى لم أكتف بالوثائق التى عثرت عليها ضمن مخلفات الرافعى كأنوار تضىء لى الطريق ، بل سعيت مرارا وتكرارا الى الكثير ممن زاملوا أمين الرافعى وتشرفوا بصداقته وأعجبوا - جميعا - بشخصيته . قال لى الأستاذ عبد الوهاب على من كبار صحفيى الاسكندرية ومن خيرة من عملوا مع أمين الرافعى ومن الذين ظلوا طوال حياتهم يذكرونه بالخير دائما : « عملت مع أمين الرافعى وموارد الأخبار المادية تفوق فى ارتفاعها كل مقال وبقيت معه حتى ذوت تلك الموارد وذوت معها الأخبار على ما اراد لها الاستعمار وعملاؤه ولم يهن الرجل ولم يحزن ولم يقل لقد طال المدى ، وكان يعمل فى الأخبار وهى تطبع من الأعداد المئات من النسخ .. كما كان يعمل وهى توشك أن تصل الى المائة الف

نسخة في توزيعها اليومي لانه كان يعمل في كلتا الحالتين بعقيدة واسخة ظل يشرع قلمه للذود عنها » •

ويروى عبد الوهاب على قصة كان هو بطلها وكان لها أثرها البالغ في نفسه ، اذ اكدت له أن الصحفي مهما تكن ظروف العمل لا يليق به أن يعتمد في أخباره على مصادر العدو .. قال عبد الوهاب علي . « كنت أسهر مع نفر من اصدقائي ذات مساء وكان ذلك في الصيف ، والمندوب السامي وموظفو داره يقيمون في مصيفهم برمل الاسكندرية ، فجاءني رجل من الذين كان نتم ظاهرهم عن الاشتغال بالحركة الوطنية وقال لي ان لقراء الاخبار عليك حقا في ان توافيهم بانباء حوادث السودان •

فقلت له وهل انا مقيم بالسودان ؟ ثم كيف ارجو الحصول على انباء هذه الحوادث حتى لو نزحت الى السودان وهي كما تعلم محمية المصادر والموارد ، ودون الحصول عليها اهوال وأهوال ؟ فتبسم صاحبي عن خبث وقال ولكن زملاءك من الصحفيين الحريصين على واجبهم يسارعون الى تلقيها من دار المندوب السامي في مصطفى باشا فهلا احتذيت حذوهم حتى لا يشوب عملك نقص من بعض نواحيه .

قال هذا ثم مضى ولم اره »

ولعل اشد ما يلوى من قناتنا معاشر الصحفيين أن نتهم بالقصور في اداء الواجب في وقت يفنى فيه المرء منا في هذا الواجب وقد لدغتني كلمات صاحبي فذهبت صبيحة اليوم التالي الى دار المندوب السامي بغية الحصول على انباء السودان قبل أن تذيعها البلاغات الرسمية التي كثيرا ما كانت تأخذ اجراءات طويلة سكون بعض الزملاء قد « تلقنوا » كثيرا من معلوماتهم واذاعوها جملة أو تفصيلا على سبيل الرواية أو الشائعة قبل اذاعتها بصورة رسمية »

قدمت بطاقتى الى السكرتير الشرقى بها ، وعلى الرغم من ان الكثيرين كانوا ينتظرون قبلى فقــد اذن بالمقابلة بعد دقيقتين اثنتين .

وتلقانى السكرتير على باب الغرفة بالبشر والترحاب ، وبعد ان اطرى امينا ونوه بشرف خصومته وعفة قلمه ولســانه عـلى الرغم من مرارتهما سألنى عن الغــرض من زيارتى فلخصت له القصة كما أفهمنى اياها صــاحبى أمس فقال السـكرتير بلغة المستشرقين العربية :

ـ اذن انت تريد أخبارا ؟

ـ نعم ..

ـ ولكنك مراســل جريدة خصــيمة عنيدة تتهم الانجليز « بانهم كلاب قذرون » ونحن لا نعطى هذه الأخبار الا للصحف الموالية لنا والتى لا تتهمنا بما ليس فينا .

ثم كشر السكرتير عن نابه وظهرت عليه امارات الغضب ودق الجرس فوافاه أحد السكرتيرين فقال له بالانجليزية الى بالدوسيه رقم كذا ... ولما وافاه به استخرج عددا من «الأخبار» صدر قبل هذه المقابلة بيومين كتب الاســتاذ المازنى افتتاحيته بقلم من نار ، وفى هــذه الافتتاحية عبــارة نفهم منها ما قصده السكرتير من كلمتى « كلاب قذرون » ثم قال هل لك وقد جئت الى دارنا أن تبلغ الأســتاذ الرافعى أن هذه العبــارة تستحق الاعتذار حتى لا تتعرض الاخبــار للمحاكمة ؟ انك ان فعلت ذلك وسحبت الأخبار هــذه العبــارة فانى ســاساويك بزملائك فى الأنباء ..

ثم افترقنا . وقد فهمت بعد ذلك أن هذه المقابلة قد دبرت ليقول لى الســكرتير ما قال . ولكنى مــع ذلك بلغت المرحوم الرافعى بك بما جرى فى كتاب خاص كتبت عليه « غير قابل للنشر » . وماراعنى الا أن صدرت الأخبار فى المساء وجعلت

هذا الكتاب موضوعها وكتب عنه الاستاذ المازنى فى افتتاحية الصفحة الاولى .

وكتب المرحوم امين فى افتتاحية الحوادث يقول : « ان الانجليز يرون فى الكلمات شيئا يستحق المحاكمة ولا يرون فى ضرب الابرياء الآمنين السودانيين ما يستحق المؤاخذة » .

واستمرت الحملة بضعة ايام سكتت فيها دار المندوب السامى ، وسكت لقد كان هذا الرجل العظيم يرى ان الحصول على الاخبار الصحفية من الخصوم عمل يجب أن يتعفف عنه المصرى الأمين .

وقال لى الأستاذ محمد نجيب وهو من خيرة الصحفيين الوطنيين « فى خلال نفى سعد زغلول ورفاقه الى مالطة ، كان أمين الرافعى هو مسئول لجنة الوفد المركزية وكان الرجل شعلة من النشاط لا متيل لها اتصالات مستمرة بلجان الوفد ، استقبالات طويلة لوفود الشباب والطلاب ، لقاءات سرية مع الفدائيين ، احاديث تفيض وطنية وذكاء باللغات الأجنبية مع مراسلى الصحف الأجنبية الذين كانوا يصرون على مقابلة امين الرافعى لأنه اقدر الناس على فهم رسالتهم . ولأنه أصدق الناس معهم ، ولانه فى الوقت ذاته أبعد رجال الوفد نظرا واوسعهم ادراكا ، واكثرهم دراية بالسياسة الدولية ، والى جانب ذلك كان أمين لا ينسى أن يكتب فى آخر الليل مقالة او اثنتين او ثلاث مقالات لا يضع اسمه الا على واحدة منها . أما الباقى فيتركه بلا امضاء .. وكانت هذه المقالات كلها ـ وخاصة تلك التى أعقبت ثورة سنة ١٩١٩ ـ تستهدف انارة الطريق امام الشعب وتوجيهه الى أساليب الكفاح الجدية ، السليمة . ورغم ما كان يقوم به أمين كل يوم من أعمال كنا اذا قلنا له « انك تجهد نفسك » ، أجاب باسما : « انا احاول أن اعمل ، اننى لم اقم بما يجب على » (*) .

ويقول رفيق جهاده احمد وفيق : « كافح أمين فى سبيل دستور أمته فكان اكبر استاذ لها حتى عرفته وطالبت به وحصلت عليه ، وجاهد امين ساعة أن افتقدته وهداها اليه حتى حصلت عليه ومع هذا ترفع وترفع حتى ان يكون ضمن نوابه ؟ وما كان ترفع امين عن النيابة استهانة بها وهو موجدها ولكنه لم يكن يطمع فى شىء من ميزاتها المادية والأدبية بل كان يؤثر العمل فى الميدان الصحفى ، على العمل فى الميدان النيابى لأن الميدان الصحفى أشمل وأعم » .

واسمع من الشيخ محمد عبد اللطيف دراز ـ احد الذين صادقوا امينا « دخلت دار الاخبار بميدان الازهار فوجدت مجموعات من الشباب الثائرين يصخبون ويهتفون ضد امين بل يهددونه بايقاع الأذى ، اذ ظل مستمسكا برأيه فى امر المفاوضات ووجدت أمين الرافعى يجيب هذه الألوف من الشباب الغاضب فى حماسة رزينة وشجاعة مؤدبة قائلا : ان لكم أن تحطموا مكتبى هذا وتدمروا الجريدة كلها ، وان لكم ان تحطموا دارى أيضا ، وان لكم ان تقتلونى وان تهددوا اسرتى ولكننى اريد ان اريحكم من الآن اذا كنتم تفهمون أن هذا من شأنه ان يحولنى عن عقيدتى او رايى . فانه ليس فى استطاعة اى قوة فى الوجود ان تحولنى عن عقيدتى الا قوة الدليل وسلطان الحجة » .

وتسمر القوم ، وبهتوا وبدأوا يتراجعون ، كأنما القيت عليهم الماء البارد ، وذهبوا الى من ارسلوهم لتهديد أمين وايذائه متحدثين عن شجاعة الرجل ، وثباته ، وايمانه ، واستعداده للتضحية بكل شىء فى سبيل مبدئه . واقتنع كثيرون من هؤلاء الشباب ـ فيما بعد ـ بالراى الذى كان يراه امين » .

اما الشيخ عبد العزيز جاويش فيقول عن أمين الرافعى : « عندما زار مصر مستر فلنتين شيرول ـ مندوب جريدة التايمز البريطانية ـ لاجراء تحقيق عن الأحوال فى مصر ، قبل

مجيء لجنة ملنر ، طلب من صديقه الدكتور فارس نمر أن يعرفه باثنين أو ثلاثة من دارسي القضية المصرية ، للاستفادة من معلوماتهم عن حقيقة هذه القضية وتطوراتها ، واختار فارس نمر ، امين الرافعي ـ رغم الخصومة السياسية بينهما ـ وترك لامين حرية اختيار اثنين آخرين للقاء فلنتبن شيرول وبعد اللقاء قال شيرول لفارس نمر : انني اشكرك لأنك عرفتني بأمين الرافعي فهو من أقدر المتحدثين في السياسة المصرية والدولية ومن اكثرهم واوسعهم اطلاعا ، وايمانا بما يقول .

واضاف شيرول : لقد اقنعني الرافعي برايه ولهذا فسأتولى الدفاع عن وجهة النظر المصرية في انجلترا ذاتها » .

ويقول الاستاذ ابراهيم عبد القادر المازني : « لم يكن للعوامل الشخصية دخل في حساب امين وما كان يناصر او يخالف مدفوعا بحب زيد ، أو ببغض عمرو ، بل بما يعتقد انه الحق . والأولى والاجلب للخير ، والأكفل لضمان الغاية في الحركة الوطنية .. وما ايد أو خاصم ، الا في الله والوطن . وكان اذا اقتسع براى ألقى بين عينيه همه واعرض عن ذكر العواقب جانبا . وكم جر عليه ذلك من هموم وعلل وأوصاب لم يخفها جميعا ولا جعل باله اليها . ولقد رزىء في نفسه وأمله ، ولده الذي كان قرة عينه ، وتضعضع كيانه ، وانهد بنيانه ولكن ايمانه بقى له سليما . وصبره ظل موفورا وعزيمته ماضية . وكم نصحنا له أن يترفق بنفسه ويبقى عليها فما اسمع الى احد منا بل مضى على نهجه لا يحيد عنه يمنة ولا يسرة حتى اختاره الله الى جواره ، ولم يكن على صلابة نفسه الا مثالا للدعة والدماثة ورقة الحاشية والحياء والأدب الجم . ولقد عاونته في تحرير الأخبار من يوم اصدارها الى أن ضم اليها « اللواء المصرى » ، فما اذكر انه كلفني عملا او طلب مني الكتابة في موضوع او حال بيني وبين حريتي في الاختيار وكان دائم

التشجيع لى والترفق بى والصبر على ولم يكن من النادر أن يعفينى عن العمل ويريحنى من مواصلة الكتابة لاستجم على حين لم يكن هو مترفق بنفسه ، كان يقدمنى على نفسه ويؤثرنى بالرعاية . ورقت حالة الأخبار فكان يعطينى ويحرم نفسه وكان يتعهدنى ويبرنى حتى بعد أن تركت الاخبار ونأت بى عنه الى حد ما مشاغل الحياة وصروف الأيام .

ويمضى المازنى قائلا : « لقد كان الرافعى فى حياته الصحفية كما كان فى حياته السياسية لا يؤمن بالتسامح والتفريط فكانت الجريدة التى يتولى تحريرها مظهرا دقيقا لسيرته وسياسته وخلقه لا ينبو فيها حرف عن الغاية التى اتخذها ولا تشذ كلمة عن الدائرة التى رسمها ، وكان يقرأ كل حرف ويراجع حتى الاعلانات ولا يأذن أن ينشر فيها ما يخالف رايه ومذهبه وعقيدته كائنا من كان الكاتب وبالغا ما بلغ . وقد ظلت الاخبار منذ صدورها الى أن اختاره الله الى جواره لا تنشر اعلانا عن بضاعة انجليزية او عن الخمور . وأذكر ان اصحاب الصحف اجتمعوا عنده يوما وأرادوا ان يتفقوا معه على قبول الاعلانات عن البضائع الانجليزية وكانت هذه الصحف قد كفت بضعة شهور على اثر ما اعلنه الوفد ودعا اليه من المقاطعة عقب نفى سعد باشا الى سيشيل ، فأبى كل الاباء ومضى هو فى طريقه وساروا هم فى طريقهم ولم تكن حالة الأخبار حسنة ولا مطمئنة وربما ورد مع البريد شيك بمبلغ ضخم من متجر بريطانى ومعه الاعلان فكان رحمه الله يكلفنى أن اكتب له رسالة بالانجليزية ارد بها الشيك وابلغ المتجر أن الأخبار لا تنشر اعلانات عن بضائع انجليزية وكذلك كان مسلكه فيما يتعلق بالاعلانات عن الخمور »

لقد كانت شخصية امين الرافعى من الشخصيات النادرة التى لعبت دورا هاما فى تاريخنا الصحفى والوطنى والسياسى ، كان أمين الرافعى نموذجا فريدا للصحفى المؤمن برسالته ، منذ أن خط اول حرف فى الصحافة الى اليوم الذى لقى فيه ربه .

ولم يكن الرافعى طول حياته يعادى فى السياسة الداخلية شيئا كما يعادى الحزبية ، اذ كان يرى أن الحزبية الضيقة الأفق هى الداء العضال الذى اوجده الاحتلال البريطانى فى قلب مصر ليمزق شمل وحدتها وليزرع الحقد فى نفوس أبنائها « ولم يكن الحزب الوطنى ، فى رايه حزبا سياسيا بالمعنى المتعارف عليه بل كان تجمعا وطنيا ، يضم جميع أبناء الشعب ، وكل خارج على هذا التجمع يعتبر خارجا على ارادة الامة ، ومع ذلك فقد اختلف امين الرافعى مع أعضاء اللجنة الادارية للحزب الوطنى واستقال من رئاسة تحرير جريدة « العلم » التى كانت تنطق باسم الحزب وانشأ صحيفة « الشعب » لتكون لسانا يعبر عن الحزب الوطنى ، ولم ير زملاؤه فى عمله هذا شيئا غريبا .. لأن امينا فى كل ما يكتب لم يكن يستوحى الا المبادىء الوطنية السليمة الصادقة .

وقد أيد أمين الرافعى ، الوفد المصرى فى بداية انشائه وعمل تحت لوائه فترة من الزمن ـ دون أن يخرج من الحزب الوطنى ـ وعندما اختلف مع الوفد ، حول تعديل أساس المفاوضة مع بريطانيا ، ظل وحده يدعو بكل قوة الى رأيه بالرغم من محاربة الوفد له بكل الوسائل ، ومع ذلك عندما نفى سعد زغلول زعيم الوفد للمرة الثانية كان صوت امين الرافعى أعلى الأصوات دفاعا عن سعد ومطالبة بالافراج عنه ، فلما عاد سعد من المنفى رحب به ودعا الناس الى الترحيب به ثم اختلف مع سعد فيما بعد ، وعندما دعا رئيس الوفد الشعب الى مقاطعة الاخبار وعدم قراءتها لانه يقرؤها نيابة عنه . وانخفض توزيع الاخبار من ٦٠ الف نسخة الى ما يقرب من الف نسخة لامتناع موزعى الصحف عن توزيع الاخبار ، لم يتراجع بل واصل هجومه على سياسة الوفد . وعندما انطلقت المظاهرات المسلحة تهاجم صحيفة الأخبار وتهاجم صاحبها فى بيته للتخلص منه ومن أسرته والعاملين معه ، لم يتراجع بل استمر فى خطته المعارضة

للوفد بكل قوة وحماسة واندفاع ، وعندما حاولت القوى الاستعمارية الحيلولة بين الوفد وبين الحكم بعد أن حصل الوفد على الاغلبية فى اول انتخابات (١٩٢٤) انطلق صوت الرافعى ينادى بأن من حق الوفد ان يحكم ما دام قد حصل على الغالبية فى الانتخابات . لقد كان الرافعى مع الحق دائما حتى لو كان الحق فى جانب خصومه الذين شرعوا فى اغتياله .

واذا كان أمين الرافعى قد عارض الخديو عباس حلمى الثانى معارضة عنيفة واستقال من رئاسة تحرير « العلم » عندما احس بوجود تقارب بين بعض اعضاء اللجنة الادارية للحزب ـ بعد مغادرة محمد فريد مصر ـ وبين الخديو . وانتقد امين الرافعى ، الخديو عباس اكثر من مرة انتقادا مرا وخاصة فيما يتعلق بأحاديث الخديو مع مراسلى الصحف الأجنبية والتقائه مع عميدى الاحتلال البريطانى جورست وكتشنر .. فقدحاربه مع عميدى الاحتلال البريطانى جورست وكتشنر مع مراسلى السلطان احمد فؤاد ، عندما كان سلطانا ، وحاربه عندما أصبح ملكا ، وعندما كانت لجنة الدستور تؤدى عملها وكان احمد فؤاد يتدخل فى اعمال هذه اللجنة ، نشر الرافعى سلسلة من المقالات دعا فيها الى تأليف جمعية وطنية منتخبة من الشعب لاعداد الدستور ، حتى لا يكون الدستون منحة من الملك ، وحتى يكون الدستور نابعا من الارادة الشعبية التى تفرض نفسها على الملك ، وبعد أن تألفت لجنة الدستور على غير ما أراد الرافعى ، نشر الرافعى سلسلة من المقالات عن حقوق الملك وواجباته وضرورة تقييد سلطة الملك ومنعه من أى تصرف بحيث « يملك ولا يحكم » وعندما سافر الملك فؤاد الى لندن عام ١٩٢٧ لامه الرافعى على تساهله فى حقوق البلاد ، وانتقاده على خطبه التى القاها امام ملك بريطانيا ، ومما قاله أمين الرافعى : « ان الخطب التى تبودلت فى لندن بين جلالة الملك فؤاد ، وجلالة ملك انجلترا لم يراع فيها أنها صادرة من ملكين مستقلين وانما لوحظ

فى بعض العبارات التى فاه بها الملكان ، ان مصر دولة تابعة لانجلترا كما لوحظ وصف عمل انجلترا فى مصر بأنه تعاون ودى ، فى حين أنه غصب وعدوان على الاستقلال .

واذا كان الرافعى أجرأ الصحفيين على الخديو عباس والسلطان حسين والملك فؤاد بوصفهم ممثلى السلطة التى كان يطلق عليها السلطة الشرعية فان الرافعى كان أجرأ الصحفيين على كرومر ، وجورست ، وكتشنر ، وونجت ، ولويد بوصفهم ممثلى السلطة الفعلية فى البلاد .

وقد كان الرافعى ـ الى جانب هذا كله ـ سياسيا بعيد النظر ، الى أبعد الحدود . احتدم الخلاف ذات مرة بين قادة الحزب الوطنى ، فى أمر من الأمور ، وكان الرافعى مع الأقلية واتفقت الغالبية مع الأقلية على الاحتكام الى محمد فريد فى المنفى ، وكان رد محمد فريد : « اننى وان كنت بعيدا عن مصر ولا أعرف التفاصيل الا اننى ارجح رأى امين الرافعى وان كنت لا أراه لأن ثقتى به تجعلنى شخصيا ولو كنت مخالفا له فى الرأى ، أتبع رأيه فهو لا يقول بغير علم ، ولا يقف هذا الموقف الا وعنده من الأسرار ، ما يبرر بها موقفه » .

فى الرسائل المتبادلة بين عبد الرحمن فهمى سكرتير لجنة الوفد وسعد زغلول رئيس الوفد ، يقول عبد الرحمن فهمى ، عند الكلام على حذف فقرة من بيان أصدره الوفد وقررت اللجنة المركزية تغيير بعض كلماته وتخفيفها وشطب كلمة (ثورة شعب) : « انتهز الفرصة لاتضحلسعادتكم ماوصلت اليه مناقشتنا امس فى نشر النداء للامة ولو انه لولا أن زميلى أمين بك فى صف المعارضين لى لضربت بمعارضتهم عرض الحائط ، ولكن الواجب يقضى باحترام مثل رأى أمين بك فى هذا الشأن » .

ولقد كان مؤلما ، بل ومخجلا ، أن تظل شخصية أمين الرافعى دون دراسة موضوعية جادة أكثر من اربعين عاما بينما

الرجل لعب دورا هاما وخطيرا فى التاريخ المعاصر حتى مؤرخنا الكبير عبد الرحمن الرافعى بعـد ان ارخ لمصطفى وفريد ، لم يستطع ان يؤرخ لثالث الثلاثة امين الرافعى خشية ان يقال ان اخا يحابى شقيقه ، ومن اجل ذلك حملنى هـذه الامانة منذ اكثر من ثمانى سنوات وقد كانت الامانة ثقيلة للغاية لان الذى حملنى اياها استاذ كبير له أثره البالغ فى مجرى الأحداث الوطنية ، ولأن الرجل الذى كان موضع الأمانة هو أمين الرافعى ، احب الكتاب والصحفيين الى نفسى وقلبى ، واكثر هؤلاء الصحفيين صلابة وايمانا وتضحية ، وثباتا ، ولست فى حاجة الى الحديث عن الصعوبات التى لقيتها فى اعـداد هذا الـكتاب بالرغم مما خلفه الرافعى من آثار ووثائق . ولست فى حاجـة أيضا الى الحديث عن مدى سـعادتى ، وأنا اقدم لقـراء العربية فى كل انحاء الوطن العربى من المحيط الى الخليج هذه الدراسة التى ارجو ان اكون قد وفقت فى اعدادها ، والتى ارجو ان تتلوها دراسات أخرى ، فشخصية أمين الرافعى متعـددة الجوانب ولا يستطيع اى كاتب أن يحيط بكل ما يتعلق بها .

ولست فى حاجة كذلك الى القول بأننا فى امس الحاجة الى تناول شخصياتنا التاريخية وخاصة تلك التى كانت ضحايا الاقطاع التاريخى والاقطاع السياسى ، بالدراسـة المستفيضة الجادة والموضوعية ، بسلبياتها وايجابياتها وذلك بغية الاستفادة من هذه الدراسات فى كل نواحى الحياة .

والله ولى التوفيق ..

القاهرة ١٥ نوفمبر ١٩٧١

صبرى أبو المجد

صحافة الرأى فى مصر

قد تكون الكلمة ذات تأثير بالغ فى حياة الجماهير تنير أمامها الطريق ، وتقودها الى الخير ، وتمنعها من الوقوع فى الشر ، وتصل بها — أحيانا — فى النهاية الى التقدم والتحرر والانطلاق ، والكلمة التى تستطيع تحقيق هذه الغايات هى الكلمة الحرة الشريفة المؤمنة ، وليس صحيحا أن حرية الكلمة مطلقة دائما فهى مرتبطة بمصالح الجماهير ومستقبلها ، وهى فى الوقت ذاته مرتبطة بحريات الآخرين ، فالمجتمع لا يحترم حريتك اذا لم تحترم حرية غيرك . والمجتمع لن يدافع عن حريتك اذا انتهكت حرية الآخرين ومنذ بدأت البشرية تخط السطور الأولى من تاريخها والناس يقدسون الكلمة الحرة ويرون فيها أملهم . وكلما بالغ المستبدون فى محاولاتهم للتضييق على حرية الكلمة ، كلما بالغ أصحابها — وبالغ الناس معهم — فى التمسك بها والدفاع عنها . وليس صحيحا — أيضا — ان شرف الكلمة يتعلق بما فيها من خطأ او صواب فالوقوع فى الخطأ امر عارض يقع فيه الناس فى كل زمان ومكان ، وشرف الكلمة — فى رأيى — متعلق بما فيها من صدق،

واخلاص . والايمان بالكلمة ، لا يقتضي أيضا العمل بما جاء فيها ولا الدفاع عنها فحسب بل يقتضي ايضـا العمل بما جاء فيها فليس عسـيرا ان نؤمن بالمثـل العليا وان ندافـع عنها بل ان العسير هو العمل بهذه المثل والتقيد بما جاء فيها ولهذا كانت الكلمة المكتوبة ، الحرة الشريفة النابعة عن ايمان صاحبها بها ومن تطبيقه لما جـاء فيها اقـوى من الرصـاص والقنابل لأن الرصاص والقنابل لا ينفجر الا مرة واحدة بينما الكلمة الحرة الشريفة المؤمنة تنفجر باستمرار وعلى مدى العصور وربما كان هذا سر عظمة الصحافة وقوتها .

واذا كان التاريخ قد عرف صحافة المبدا والعقيدة والرأي فقد عرف ايضا صحافة الافاعي والقراصنة . ومعامل الاكاذيب وأبواق المفتريات ، وأدوات التشهير ، وكما وجد حملة الاقلام الذين يقفون فى معسكر الحرية ، والحق ، متحملين كل ضـغط وارهاب وجد كذلك من حملة الاقلام من باعوا انفسهم ـ بثمن بخس ـ للشيطان ، والعبودية والاسـتغلال . وسواء تفلت الكلمة الحرة الشريفة المؤمنـة على الـكلمة الرخيصـة الذليلة المدفوعة أم تراجعت فان للكلمة الاولى سحرها ومجدها وكيانها وقد بقيت معالم الصحافة الحرة ـ دائما وابدا ـ ابرز معالم التاريخ .

ان أمجاد الامم لا تقاس . بقدر ما شيدت من طرق وموانئ ومنائر ، ومؤسسات بل بقدر ما تمتعت به صحفها من حرية ، وبقدر ما امتاز به كتابها من شرف وايمان .

ولن تتباهى الامم ـ فقط ـ بالمعـالم التاريخية والبرلمانات الكبيرة ذات القباب العالية . بل انها لتتباهى فى الوقت نفسه بصحفها التى تغذى الحركات التحررية وتؤثر فيها وتتاثر منها.

ان الصحف ـ فى جميع العصـور ، وفى كل البلدان ـ ليست اداة ترف وفضول على قـدر ما هى اداة بناء وتشييد

وهى ليست وسيلة لتضييع الوقت بل هى وسيلة لصنع الانسان وغالبية الثورات ـ ان لم تكن كلها ـ من صنع الصحف انها على الأقل تقوم بالدور الذى يقوم به سلاح المدفعية فى دك حصون العدو ، قبل الهجوم الأخير على معاقله . ان جورج واشنطن ـ مثلا ـ لم يشرع سيفه كما يقول كوشفال كليرنى الا للدفاع عن ثورة كانت قد نمت فى الأفكار . أما تكوين هذه الافكار وتحطيم القيود وتبصير الشعب بحقوقه وايقاظ وعيه وبمستقبل مستقل عن انجلترا وخلق روح أمريكية وطنية فكانت كلها من اعمال الصحافة .

وكل الشعوب التى كافحت وناضلت من أجل الحصول على حريتها واستقلالها ، وكل الشعوب التى تمكنت من اعلان ارادتها وصنع نفسها بنفسها ، كانت تعتمد أول ما تعتمد فى معاركها على صحافة حرة مؤمنة شريفة يعمل فى ميدانها احرار شرفاء يقدسون الكلمة ويؤمنون بحريتها وشرفها .

وشعب مصر ، وهو من أعرق شعوب العالم حضارة وتقدما واقدرهم على التأثر بالحركات التحررية والتأثير فيها اعتمد فى تاريخه الحديث على الكلمة الحرة المؤمنة الشريفة النزيهة التى هدته ـ يوم أن ضلت به السفينة ـ الى سواء السبيل والتى فتحت أمامه ـ عندما تكاثر عليه الاعداء ـ طريق النصر ، والتحرر والانطلاق .

كانت صحافتنا خلال المائة والثلاثين عاما الأخيرة السلاح الذى دك حصون الظلم والبغى التى شيدها ، وبالغ فى تحصينها اسماعيل . كانت المنارات التى أضاءت لأبناء مصر الطريق عندما التقى خصوم مصر من كبريات الدول الاوربية على تقييد حريتها ومحاولة القضاء عليها . ثم كانت فى الوقت نفسه الجيش القوى العنيد ، الذى لم ينهزم فى أى معركة وان اضطر الى التوارى عن الانظار بعض الوقت . صحافتنا هذه

كانت الوعاء الذي حفظ لنا وثائق تاريخنا والسجل الذى ابقى على الدهر طول هذه الفترة القصيرة من حياة شعبنا كل الأحداث والتغييرات فقد سجلت الخير كما سجلت الشر .

حاربت العدوان كما حاربت الاحتلال والاستغلال سعت ـ كلما وسعها الجهد لتمهيد الطريق الى الحرية والى الاستقلال سارت فى الغالب مع الشعب فى أيامه السود وأيامه البيض تسرع الخطا ان هو اسرع ولا تبطىء فى السير ، ان هو ابطأ وفى أحيان كثيرة كانت تسبقه ولا تتخلف عن مسيرته الا بقوة السلاح .. وبقى منها ما وقف مع الشعب ، وما عبر عن ارادته الحرة ، وما اخلص فى حمل الأمانة واداء الرسالة واختفى منها ـ مهما جمع أصحابها من اموال وما حصلوا عليه من نفوذ ـ ما اختلف مع الشعب وما وقف ضد مصالحه وأهدافه . لقد استطاعت صحافتنا ـ فى مستهل حياتها ـ ان تقوم بادوار خطيرة فى النهوض ببلدنا وفى تطوير شعبنا ، واستطاعت فى الوقت نفسه أن تلعب فى حياة الجماهير . شاركت صحافتنا ـ منذ بداية ظهورها ـ فى كل قضايا الشعب وتحملت ـ كما تحملت كل أدوات الكفاح والنضال الشعبى ـ الكثير من التضحيات ، واذا كانت أقلية ضئيلة من صحفنا ، تنتسب زورا وعدوانا الى بلدنا ، قد وقفت فى فترة من فترات التاريخ طالت أم قصرت الى جانب المستعمر تسبح بحمده وتمجد عدوانه وتتمسح بعتباته وتنشر أكاذيبه وترهاته من اجل أن تعيش على فتاته فحسبنا أن هذه كانت من القلة والضآلة الى الحد الذى جعلها لا تستطيع وقف عجلة التاريخ وحسبنا فى الوقت نفسه أن غالبية صحفنا قد رفضت أن تداس حريتها بالاقدام كما رفضت أن تشترى بالاصفر الرنان وتحملت كل ما يمكن ان تتحمله الاقلام الشريفة من تضحيات جسام بايمان ثابت واخلاص قوى وصبر دائم وقدرة فائقة ولم تنجح وسائل الضغط والارهاب كالتعطيل والمصادرة والسجن والاعتقال والتشريد فى

الحيلولة بين هـذه الصـحافة الحرة ورسـالتها وبين هـؤلاء الصـحفيين الأحـرار ، وبين أداء دورهم الطليعى فى تحـرير الشعب واستقلاله وقد استطاعت صحفنا رغم وسائل الارهاب والضغط والعنت أن تـكون حلقة الاتصال بالعـالم الخارجى ، فتنقل ثقافاته الجديدة وفلسفاته الحديثة كما اسـتطاعت أن تنقل الى الشعب اصدق الانباء عن الحركات الثورية التى قامت فى أوربا وأمريكا .

ومهما تكن الظروف التى واكبت تطور الصحافة المصرية فى السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر والسنوات الأولى من القـرن العشرين الا أنهـا ـ فى الغـالب ـ كانت معبرة عن التغيير الذى ظهرت ملامحه فى المجتمع المصرى منـذ وفاة الخديو توفيق (١٨٩٢) وتوليـة ابنه الخديو عبـاس حلمى الثانى ،ولقد استطاعت الصحافة المصرية رغم ظروفها الخاصة ورغم الوسائل التى استخدمت للضغط عليها أن تساهم مساهمة كبيرة فى خلق رأى عام مستنير كانت لـه قوته فيمـا بعد ولقد انفردت صحفنا ـ فى تلك الفترة بميزة قل أن يشهدها تاريخ الصحافة فى اى بلد آخر . ذلك أن الصحف اليومية الكبرى المؤيد ، واللواء والجريدة التى سيطرت على الرأى العام فى تلك الفترة كانت التجمعات الأولى للاحزاب الثلاثة الكبرى التى نشأت فى مصر وقد كان أمين الرافعى ممن تتلمذوا عـلى يد مصـطفى كامل فى جريدة « اللواء » .

مولد صحفى كاتب

نشأ أمين الرافعى كما ينشأ فى العادة أبناء الموظفين محدودى الدخل فى البداية فى كتاب من كتاتيب المدينة أو القرية حيث يتم التعليم عن طريق الفقهاء والعرفاء لا كتب ولا قماطر ولا كراسى ، الجميع يجلسون على الحصير أو على الدكك الخشبية التى غطيت فى النادر بالحصير والاعتماد ـ فى التعليم ـ على ألواح من الاردواز ثم ألواح خشبية بعد الوصول الى مرحلة معينة من التعليم . حفظ الأجزاء الأولى من القرآن الكريم يتم عن طريق السماع والالقاء الجماعى ، ثم بعد ذلك يكون الحفظ عن طريق الالواح الخشبية أو عن طريق المصحف مباشرة التلاميذ يأخذون معهم غذاءهم ولا يعودون من الكتاتيب الا فى نهاية النهار . أما من قرب منزله من مكان الكتاب او ارتفع ما يدفعه من اجر فيستطيع تناول غداءه فى بيته ، ثم يعود الى الكتاب ، الواحد منهم ـ اذا كان ذكيا ومستقيما ـ يستطيع أن يحفظ القرآن الكريم فى العاشرة من عمره أو فى الحادية عشرة وبعد اتمام حفظ القرآن وتجويده الفية بن مالك ، وبعض المتون التى تفيد فى دراسة اللغة العربية يصبح مؤهلا للالتحاق بالازهر او اية مدرسة أخرى .

ويدخل امين الرافعى واحدا من هذه الكتاتيب هو كتاب الشيخ جلال بشارع درب الحصر بالقاهرة لفترة من الوقت وبعد ان انتهى من دراسته الأولى فى الكتاب انتقل الى مدرسة الزقازيق الابتدائية الاميرية حيث عمل والده فترة من الوقت ثم

انتقل الى مدرسة راس التين الابتدائية ايضا عندما نقل والده فى عام ١٨٩٨ الى الاسكندرية وقد نال امين الابتدائية سنة ١٩٠١ كما نالها فى نفس العام شقيقه عبد الرحمن — ويقول عبد الرحمن الرافعى فى مذكراته : « حين علم احد اقربائى بالنبأ وكنت اجهله سارع الى الحضور لمنزل والدى بالانفوشى شارع قصر راس التين رقم ٥٨ وهو المنزل الذى نلت فيه الشهادة الابتدائية والثانوية وليسانس الحقوق ، ليبشرنى بالنجاح فالفانى فى حديقة المنزل يجرنى اخى امين فى قفص من الجريد جعلنا منه شبه عربة صغيرة نتناوب ركوبها وجرها بحبل فنادانى بلهفة فتركت القفص اساله عن الخبر فهنانى بالنجاح واطلعنى على نسخة اللواء التى فيها اسمى ضمن الناجحين فى الشهادة الابتدائية فضحكت مغتبطا . ثم عدت الى قفص الجريد لنتم انا واخى عملية الجر واللعب » وكان امين الرافعى وشقيقه عبد الرحمن بعد نجاحهما فى الابتدائية يترددان على قهوة انيقة بشارع راس التين تجاه سراى محسن باشا كل يوم جمعة حيث كان صاحبها الحاج احمد يقدم لهما شراب الليمون الذى يتقنه اكل الاتقان ويطلعهما كما يطلع بقية الزبائن على بعض الصحف اليومية التى كانت تصدر وقتئذ ومنها اللواء واذا كان عبدالرحمن لم يتبين منهج اللواء ولا الصحف الاخرى لصغر سنه فان امينا لكبر سنه وتفتح مداركه ومتابعته لقراءة الصحف والكتب والاستماع الى كثير من الاحاديث التى كان يلقيها بعض الذين شهدوا وعاصروا احداث الثورة العرابية وكان اثر فهمه لمناهج اللواء والمؤيد والأهرام ويدخل الشقيقان امين وعبد الرحمن معا مدرسة راس التين الثانوية بالاسكندرية وقد كانت من اهم مدارس القطر واساتذتها من خيرة الاساتذة علما وخلقا — ويقول الاستاذ عبد الرحمن الرافعى فى مذكراته : « كان من بين اساتذة مدرسة راس التين الثانوية المرحوم عثمان بك لبيب وكان يلقى علينا بين حين وآخر حديثا عن حالة البلاد السياسية وكان

وطنيا صميما لا يفتأ يطعن فى سياسة الانجليز ويذكر لنا كيف احتلوا مصر غدرا وغيلة وكيف يعملون على ارساخ اقدامهم فى البلاد ويحاربون الروح الوطنية وكان يقول لنا خلال احاديثه : « افهموا يا ولاد كويس » ، كنت الاحظ انه حين يبدأ الحديث فى السياسة يغلق بنفسه باب الفصل لكى لا يسمع حديثه ناظر المدرسة » . وكان كثيرون من مدرسيها يتخيرون بعض الطلاب النبهاء ويلقون عليهم بعض الدروس الوطنية خارج المدرسة بل كانوا يطلعونهم على بعض الصحف التى كانت تصدر فى الخارج وتهرب الى مصر خلسة وما اكثر المرات التى التقى فيها امين الرافعى بزملاء له خارج المدرسة وكانوا جميعا يشعرون مثله بالضيق الذى يشعر به وكانوا يحسون الرغبة فى العمل من اجل انقاذ بلادهم كما كان يحس وما أكثر تلك المناظر التى كانت تثيرهم كل صباح وكل مساء مناظر الجنود البريطانيين بخوذاتهم وحرابهم وهم يسرحون ويمرحون فى شوارع العاصمة الثانية على اية حال فان الصبى أمين الرافعى ـ الذى ولد مرهف الحس ـ عاش سنواته الاولى ـ متنقلا ـ تبعا لتنقلات والده فى كثير من عواصم الاقاليم يحس بالكآبة والحزن والألم لما وصلت اليه أحوال البلاد بعد الاحتلال حيث استولى الاحتلال على كل شيء فى البلاد . تأثر الرافعى كما تأثر غيره من الشبان بالظروف القاسية المريرة التى كانت تحيط بالشعب الذى كان يئن كالاسد الجريح يعانى آلام المرض والجوع فى قفص حديدى لا يستطيع ان يتحرك فى داخله وكان زعماء البلاد وقادتها وكبار مفكريها ـ فيما عدا قلة ضئيلة قد استولى عليهم اليأس القاتل وأحالهم الى احجار صلبة لا تتحرك ولا تحس بل ولا تتنفس حتى لقد خيل للشباب فى تلك الفترة أن يقظة البلاد من رقدتها تكاد تكون من المستحيلات .

غير ان دوام الحال من المحال فالشعوب الاصيلة العريقة لا يمكن للهزيمة مهما تكن شديدة وقاسية وعنيفة ومفاجئة ان

تقضي عليها وقد تسكتها الى حين قد تضايقها وتؤلمها بل وتعيقها عن التحرك بعض الوقت ولكنها بعد زوال المفاجأة تعود اقوى مما كانت واكثر قدرة على التحرك عما كانت عليه قبل الهزيمة . لقد بدأ الشعب يفتح عينيه ويتطلع الى ما يجرى حوله ساكنا صامتا فى البداية الى أن عادت اليه قدرته فبدأ يتحرك من جديد ولست أدرى هل هى المصادفة البحتة أم هى الظروف السياسية والاقتصادية والنفسية التى جعلت من أولئك الابنــاء الذين ولوا قبــل الثورة العرابية وأثناءها وفى أعقاب الهزيمة كمصطفى كامل ومحمــد فريد وسعد زغلول وأمين الرافعى ولطفى الســيد وعبــد العزيز فهمى وغيرهم وغيرهم يحملون المشاعل فى مطلع القرن العشرين ويصبحون فيما بعد قادة ثورة ١٩١٩ التى قامت بعــد ستة وثلاثين عاما من هزيمة الثورة العرابية .

لقد بدأت الظروف تتغير لصــالح الشعب وبدأ الرافعى يحس بهذا التغيير فى مدرسته الثـانوية فالتغنى بحب الوطن واقتناص المناســبات الدينية كهجره الرســول والمولد النبوى لاقامة احتفالات ذات مغزى وطنى الى تاليف خلايا سرية تضم بعض الشباب المتفتح للعمل الوطنى والباحث عن طريق الخلاص وخيل للرافعى أن الأمل فى اليقظة وقد كان الى أمد غير بعيد مستحيلا قد أصبح اليوم محققا والمستقبل الذى كان الى سنوات قليلة يبدو مظلما قد بدأ يشرق من جديد حتى الرأى العام الذى حجبته الهزيمة المفاجئة وقيدته بل وقتلته أخذ يتحرك وتتسع دائرته والزعماء والقادة الذين كتبت عليهم الهزيمة والاحتلال الا يتحركوا بل الا ينطقوا راحوا يتهامسون ثم راحــوا بعد الهمس يناقشون ويتكلمون والوزراء أحجار الشطرنج التى لم تكن تحس وجد من بينهم من يستقيل بل من يعلن للناس أسباب استقالته والجيش الذى بالغ المحتلون فى اذلاله كما بالغوا فى حرمانه من السلاح واختيار ضباطه واحدا واحدا أخــذ يتململ غيظا والما كما راحت طلائعه الشــابة تتلمس طريق الخلاص وتبحث قضايا

الوطن فى حذر شديد والشبيبة المصرية التى عمل المحتلون كل ما يمكن عمله ليقطعوا كل الصلات الثقافية والتاريخية التى تربطهم ببلدهم لغة او تاريخا دب فيهم أمل جديد أقلق المستعمر وأزعجه . ويتأثر الرافعى بذلك كله ويندفع رغم ضعف صحته حيث كان يشكو الصرع الذى أضاع عليه بعض سنوات دراسته ، الى ميدان العمل الوطنى ليشارك كخطيب فى بعض الحفلات المدرسية ثم يشترك كمتظاهر فى بعض المظاهرات التى سيرها الطلاب فى المناسبات الوطنية ويندفع الرافعى أكثر وأكثر فى مجال آخر يتلاءم تماما مع ظروفه وسنه أعنى مجال القراءة فالرافعى وقد ولد فى بيت علم وأدب وشعر أتاحت له الظروف أن يقرأ كثيرا من الكتب الادبية والفلسفية والاجتماعية والدينية والقراءة عند الرافعى كالطعام والشراب والتنفس لا يمكن الاستغناء عنها والقراءة عنده تعنى الاستفادة دائما . يقرأ الرافعى كل ما يقع تحت يده من كتب وصحف يقرأ بالعربية والفرنسية لخصوم الوطن ولمن يقفون الى جانبه ولا يكتفى الرافعى بالقراءة بل نراه يلخص كل ما يقرأه فى كراسات يحتفظ بها الى وقت الحاجة ولا تكفيه قراءة الصحف فى دار الكتب أو فى المقهى الذى تعود أن يذهب اليه كل جمعة هو وشقيقه عبد الرحمن بل ينفق معظم مصروفه اليومى فى شراء هذه الصحف التى يقرأها ـ كما يقول شقيقه عبدالرحمن ـ قراءة من يرغب فى الاطلاع والاستفادة معا وتؤهله كثرة قراءته واستعداده ليكون كاتبا وكاتبا قديرا .

فعلى اثر تخرج أمين الرافعى من المدرسة الثانوية التحق بمدرسة الحقوق الحديوية عام ١٩٠٥ ، وانضم فى الوقت نفسه الى هيئة تحرير صحيفة اللواء باعتبارها صحيفته المفضلة التى تعبر بصدق عن أحلامه وآماله ، ومضى فى دراسته ، كما يمضى الطلاب المتفوقون الحريصون دائما على الحصول على أعلى الدرجات . وكان فى الوقت ذاته حريصا على قراءة ما يقع

تحت يده من كتب وصحف ومجلات وحريصا على أن يشهد باستمرار الندوات التى كانت تعقد فى « اللواء » و « المؤيد » والتى كان يتحدث فيها مصطفى كامل ومحمد فريد واحمد لطفى وعمر لطفى ، ولم يكن الشباب وقتئذ يحضر هذه الندوات كمستمع فقط بل كان يناقش ويجادل ويفذى أراءه الحرة بكل صراحة وقوة اذ كانت هذه الندوات مليئة بالحركة والنشاط ، مرة كان الاستاذ ابراهيم الهلباوى يحاضر فى احدى هذه الندوات ، والهلباوى هومحامى الاحتلال فى قضية دنشواى ورأىالشباب ومن بينهم امين انه لا بد من التعبير عن رأيهم فى شخصية الهلباوى فذهب عديد منهم الى مكان المحاضرة بدار « الجريدة » وجلسوا فى الصفوف الأولى والصفوف الأخيرة وما كادالمحاضر يجلس الى منصة الخطابة حتى أطلق الشباب أسرابا من الحمام اشارة الى حادثة دنشواى التى كان سببها صيد الحمام .

وكان الرافعى يتحدث فى كثير من هذه الندوات بأسلوب شائق فى المناقشة وعرض آرائه . فاتيح له أن يتعرف الى كثيرين من الشخصيات السياسية والصحفية . ولم تكن مدرسة الحقوق التى اصبح الرافعى بعد فترة قصيرة من أبرز طلابها مدرسة عالية عادية فحسب بل كانت فى هذه المرحلة محور كثير من الحركات السياسية والوطنية . ولما كان الرافعىصاحب قلم وصاحب حظوة لدى مصطفى كامل « صاحب اللواء » وله علاقات وثيقة بكثير من الاقطاب فقد أصبح من الزعماء البارزين فى المدرسة وفى كثير من المناسبات كان يقود طلابها وكانت مدرسة الحقوق تقود بدورها المدارس العالية والثانوية والابتدائية . ففى عام ١٩٦٠ – مثلا – وقع اضراب مدرسة الحقوق احتجاجا على بعض القرارات التى اصدرها مستر أرشيبولد نائب ناظر المدرسة بخصوص عقاب الطلبة الذين يتخلفون عن الحضور وحرمانهم من الدروس والامتحانات بل من التوظف فى الحكومة وكان امين الرافعى على رأس اللجنة التى

الفت لادارة حركة الاضراب الذى استمر فترة طويلة وكان هو الذى يتولى صياغة البيانات والمنشورات التى تصدر باسم الطلاب وتوزع عليهم أو تنشر فى الصحف وقد بذل اللورد كرومر ـ رجل الاستعمار العتيد ـ جهودا مضنية لكى يفشل هذا الاضراب كما بذل جهودا شاقة اخرى لتفتيت وحدةالطلبة بالدس والاغراء غير أن كل هذه الجهود فشلت ونجح الطلاب فى تحقيق اهدافهم من الاضراب .

ولما كان الشباب المصرى المثقف طليعة العاملين فىالحقل الوطنى . فقد رأى قادة الحركة الوطنية ضم جهود هؤلاء الشباب فى ناد يجمع بين طلاب المدارس العليا وخريجيها فانشىء نادى المدارس العليا فى ابريل ١٩٠٦ وانتخب أمين الرافعى وكان عضوا فى مجلس ادارته . وبعد تخرجه فى المدرسة انتخب سكرتيرا للنادى وظل انتخابه يتجدد كل عام حتى ١٩١٤ عندما أغلقت السلطات العسكرية البريطانية النادى وباعت اثاثه . ولم يكن نادى المدارس العليا محورا للنشاط السياسى فحسب ، بل كان محررا للنشاط الاجتماعى والثقافى أيضا . ففى هذا النادى انشئت جمعية رعاية الاطفال وفى قاعاته اجتمعت لجنة ادارة الجامعة المصرية وولدت فكرة انشاءمدارس الشعب ومشروع النقابات الزراعية .. الخ ، وكان نادى المدارس العليا الى جانب ذلك معهداً اخلاقيا يروض الشباب على الأخلاق الطيبة فقد انفرد دون غيره من الأندية بتحريم لعب القمار وكذلك تحريم المسكرات وقد ذكر الرافعى فىخطبة القاها بمناسبة عيد تأسيس النادى أن النادى أقيم على أساسين متينين هما الاعتماد على أنفسنا ومساعدة الأمة لنا ، فلم تتقوض دعائمه بل اخذ يقطع سنيه الأولى ثابت القدم عزيز الجانب لقد كنا متخوفين وجلين عند تأسيس النادى ولكن بفضل اعتمادنا على انفسنا ومساعدة الامة لنا ذهب عنا الخوف والحزن .. لقد سقيناه ماء الاخلاص وسقيناه ماء العمل المؤذن بالثمر فكان

مثله كمثل أرض هامدة فانزل الله عليها الماء فاهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج .

على أن نشـــاط الرافعي في نادي المـــدارس العليا وفي مدرسة الحقوق لم يمنعه من مزاولة نشـــاط آخر محبب الى قلبه ذلك هو نشاطه الصـــحفي ـ يقول الأستاذ أحمـــد حلمي المحرر الاول للواء وخير من كتب عن مأساة دنشواي « عرفت الرافعي وهو طالب بمدرسة الحقوق فكان أول قبس ظهر من شـــعاع ذكائه تلك المقـــالات الممتعة التي كان يكتبها عن حيـــاة جاريبالدي وأعمال ذلك الوطني الايطالي العظيم . وكنت اجعل لها أظهر مكان في اللواء لأنها تقع من نفسي موقع الزلال في فم الصادي وقت القائلة ويظهر أنه كان يكتب عن جاريبالدي بعد دراسة تشربت بها نفسه حتى لبست روح جاريبالدي فـــكان مثال التفاني في حب مصر ، كما كان جاريبالدي مثـــال التفـــاني في حب ايطاليا وهكذا شب وطنيا لا تشوب وطنيته أي شائبة يؤاخذ عليها » .

اما الشيخ عبد العزيز جاويش الذي رأس تحرير اللواء في أيام مجده فيقـــول : « شغلنا بأمـــر اللواء في ذلك الوقت وكان أمين تلميذا في الحقوق هو والأستاذ عبد الرحمن الرافعي ومحمد زكي علي ومصطفى الشوربجي يختلفون الى اللواء فكنت أجد فيهم الايمان القوي وكنت أجد فيهم المبادىء التي لا تؤثر فيها الزلازل ولا الزعازع كنت أجد فيهم العلم الصحيح والعقيدة الوطنية الراسخة وكان أمين وهو يشتغل معي في اللواء مثال الجد والكمال وكان يعجبني فيه الرأي الصائب والوفاء لمبدئه» أما الأستاذ مسعود فراج مسعود وهـــو من الذين عملوا فترة طويلة لتطوير الأزهر فيقـــول : « في أوائل ١٩٠٧ عرفت أمين الرافعي وكان اذ ذاك في أوائل سني دراسته بمدرسة الحقوق الخديوية وكنت سكرتيرا لجمعية الاتحاد الأزهري التي قامت تطالب باصلاح الأزهـــر وتغيير نظمه القديمة الباليـــة عرفني

بدافع الخدمة الوطنية اذ كان يقضي وقتا من يومه بادارة جريدة اللواء ليساعد صديقه المصلح الكبير صاحب الفضيلة الشيخ عبد العزيز جاويش فى تحرير اللواء وكان اللواء وقتئذ مناصرا لجماعة الاتحاد الأزهرى عرفته وهو يجول بدراجته جهة الأزهر لمعرفة ما قررته الجمعية وما تريد فعله فكنا نتقابل يوميا لاعطائه المعلومات التى يجب أن تذاع بلسان اللواء فعرفت فيه الصدق والاخلاص والحرص والعمل لخدمة المجموع وكنا آنذاك نطارد من الحكومة مطاردة المغضوب عليهم وكانت المصلحة تقضى علينا أن نتنكر بملابس مستعارة ونجتمع فى أماكن خربة أو شبه خربة حتى نختفى عن البوليس والجواسيس والرقباء ، ولكن العين الوحيدة الجادة ، التى تدرك أماكننا دائما ، وتعرف أشخاصنا دائما رغما عن كل تنكر واختفاء هى وحدها عين أمين الرافعى وهكذا ظل مؤازرا ومرشدا حتى انتهت المسألة على ما أحبه الأزهريون وارتضوه وعلى ما دونه التاريخ ووعاه

وكانت دراسات الرافعى عن جاريبالدى - وقد سبق الاشارة اليها - اول ما نشر لأمين الرافعى فى اللواء ابتداء من ٥ أغسطس ١٩٠٧ وتعتبر هذه الدراسات من خيرة ما كتب عن الزعيم الايطالى وهى تصلح لأن تكون كتابا قائما بذاته فقدجاءت فى سبع عشرة مقالة كان اللواء ينشرها فى ابرز مكان ولم يوقع الرافعى هذه المقالات باسمه الصريح رغم الجهد الشاق الذى بذله فى اعدادها اذ كان يوقعها باسم حقوقى اسكندرى أو حقوقى ، وكلمة اسكندرى تشير الى الاسكندرية حيث كان الرافعى يقيم فى اجازته الصيفية .

وقد نشرت سلسلة المقالات التى كتبها أمين الرافعى عن جاريبالدى بصورة منتظمة أو شبه منتظمة فى جريدة اللواء وكان الرافعى يقطع السلسلة لينشر بعض مقالاته التى تتناول أمورا طارئة كتهنئة الشعب الايطالى (٢٠ سبتمبر ١٩٠٧)بعيد الحرية والاستقلال وكذلك ما كتبه عن النفى الادارى والحرية

الشخصية فى ٢١ اكتوبر ١٩٠٧ وما نشره عن النفى والسلطة التشريعية (٢٤ اكتوبر ١٩٠٧) وفى هاتين المقالتين دفاع حار عن الحرية الشخصية ونقد عنيف لمن بيدهم حل الامور وعقدها الذين يقيدون الحريات الشخصية بقوانين جائرة ظالمة تؤدى الى وقوع البلاد فى مهاوى الذل والاستعباد . ومن بين هذه المقالات التى قطع بها سلسلة كتاباته عن جاريبالدى ما كتبه فى ٦ نوفمبر ١٩٠٦ تحت عنوان « رجاء الى صاحب اللواء » طلب فيها من الزعيم مصطفى كامل أن يمسك قلمه عن مناقشة الذين يشتمونه ويسبونه لأنهم رأوا أن بضاعتهم مزجاة وانهم على باطل ، فلم يجدوا شيئا يكتبونه غير التفرير والسب والقذف وحتى أصبحنا لا نقرأ فى وريقاتهم غير ما كنا نقرأه من قبل الحمارة والخلاع ، واختتم مقاله هذا طالبا من مصطفى كامل أن يمضى فى عمله آمنا مطمئنا فالامة شاخصة اليه بأبصارها متجهة اليه بقلوبها واقفة على أهواء هؤلاء السفهاء الذين حقت عليهم كلمة الامام على : اتخذوا الشيطان لأمرهم ملاكا واتخذهم له اشراكا .

ويطول بنا المقام لو استعرضنا كل ما كتبه الرافعى وهو طالب فى كلية الحقوق كما يطول بنا المقام لو استعرضنا جهوده السياسية والوطنية خلال تلك الفترة فقد كان لا يكتب الا بعد دراسة ولهدف ولم يكن ليكتب الا عن عقيدة ثابتة وايمان صادق وكان وهو يعمل فى الحقل الوطنى كواحد من المسئولين عن نادى المدارس العليا يبذل كل جهده ونشاطه لخدمة القضية الوطنية التى نذر نفسه منذ البداية للعمل لخدمتها . وكان فى عمله كطالب بمدرسة الحقوق التى تمثل قيادة الشباب الوطنى نموذجا للطالب المثالى المعبر بحق عن طلاب الحقوق الذين قال فيهم شاعر النيل حافظ ابراهيم :

وكيف يضيع للطلاب حق ... وهم فى مصر طلاب الحقوق

محامي القضايا الكبرى

تخرج أمين الرافعى فى مدرسة الحقوق الخديوية فى صيف ١٩٠٩ ، وكان وهو طالب على ما ذكرنا قد انتظم فى سلك الصحافة محررا فى اللواء ، وبعد تخرجه لم يقبل التوظف فى الحكومة على حين ان الوظائف الحكومية كانت وقتئذ تستهوى افئدة كثيرين من الشباب كما لم يقبل العمل بالمحاماة فى وقت كانت هذه المهنة تدر الكثير من الأموال بل فضل الاستمرار فى الصحافة وكانت اولى المشاكل التى صادفته عقب تخرجه ان شقيقه الاستاذ عبد الرحمن الرافعى ترد هو الآخر بعد تخرجه الاشتغال بالصحافة . ولما كان الاشتغال بالصحافة وبالصحافة الوطنية الحرة وقتئذ يعنى التضحية بالجهد وبالمال كما يعنى حياة الكفاف . فقد احتكم الاخوان الشقيقان الى والدهما فى هذا الخلاف الذى شجر بينهما الأول مرة وقرر الوالد بعد فترة من الدراسة أن يعمل احد الشقيقين فى المحاماة ليساعد الآخر ماليا . وأن يعمل الاخر فى الصحافة ويتقبل مساعدة اخيه . واستقر الراى على ان تكون المحاماة من نصيب عبد الرحمن . وان تكون الصحافة من نصيب أمين الذى لم يكن له مرتب فى « اللواء » ولا فى « الشعب » حتى

بعد أن صار رئيساً للتحرير بلّ كان كل الذى يتقاضاه كمحرر اثنى عشر جنيها كبدل انتقال وكل الذى كان يأخـذه كرئيس تحرير لصحيفة « الشعب » التى كانت أكثر الجـرائد المصرية انتشارا واقواها نفـوذا كانت لسـان حال الحـركة الوطنية عشرين جنيها فقط ! ولم يكن هذا المبلغ البسيط كما سبق أن ذكرنا فى مقدمة هذا الكتاب يدخل جيب أمين الرافعى بل كان ينفقه باستمرار على زملائه المعوزين وما اكثرهم . وقد سألت ذات يوم أستاذنا الكبير عبد الرحمن الرافعى عن العلة فى عدم قبول أمين الرافعى تناول مرتب ثابت يليق بعمله ومركزه كما كان يفعل رؤساء تحرير « الجريدة » و « المؤيد » و « المقطم » وغيرها من الصحف الكبرى التى كانت تصدر قبل الحـرب العالميـة الاولى وكانت دون صـحيفة الشـعب انتشارا ونفوذا فقال لى لقد كان أمين الرافعى يرى فى عمله الصحفى واجبا بل كان يراه تضحية من التضـحيات التى يجب أن يقدم عليها المرء دون أن ينال عنها اى اجر ، ومنذ أن تخـرج الرافعى فى مدرسة الحقوق راح يكتب باسمه الصريح لأول مـرة « أمين الرافعى ليسانسيه فى الحقوق ' وكان أول مقالاته التىحملت اسمه سلسلة مقـالات عن نظام التعليم فى مدرسـة الحقوق نشرت فى يونيو ويوليو ١٩٠٩ وفى هذه السلسـلة كتب عن جناية الاحتلال البريطانى على التعليم العـالى فى مصر وقارن بين مدرسة الحقوق فى عهدها القـديم قبـل أن تمتـد اليها يد الانجليز وبين مدرسة الحقوق فى أيام الانجليز » .

وقد لفتت هذه المقالات الأنظار الى أمين الرافعى ككاتب صادق جرىء مخلص يدعم آراءه بالحجج والمستندات والوثائق وقد توالت الأحداث السياسية الكبرى فى البلاد وكان من أكبر هذه الأحداث واخطرها المحاولة الاستعمارية الكبرى التى اريد بها مد امتياز قناة السويس وكان محمد فريد ــ زعيم الحزب

الوطنى ـ قد حصل على مشروع المد بعد عرضه على الخديو عباس الثانى وبطرس غالى باشا عند زيارتهما لندن .

وبدأ محمد فريد وأمين الرافعى ينشران المقالات العديدة ضد هذا المشروع الخطير .. كتب أمين الرافعى فى أكتوبر ۱۹۰۹ مقالا باللواء دعا فيه الحكومة الى رفض هذا المشروع كما دعا فيه الأمة الى مقاومته بكل ما تستطيع من قوة واتبع الرافعى هذا المقال بسلسلة من المقالات المدعمة بالحجج والاحصاءات والبيانات وراح يوضح ما به من غبن للشعب كما راح يتحدث عن حيدة القناة وضرورة تحقيق هذا الحيادوعندما عطلت الحكومة اللواء انتقل بحملاته الى العلم ثم الى الاعتدال بعد تعطيل العلم وعندما عرض المشروع على الجمعية العمومية فى فبراير ۱۹۱۰ تابع أمين الرافعى مناقشات الأعضاء وبين لهم اضرار المشروع من الناحيتين السياسية والمالية وساق اليهم كل الأدلة التى تقنعهم برفض المشروع ولم يكتف بذلك بل راح يفضح مواقف الوزراء الذين كانوا يؤيدون المشروع وينقد أدلتهم الزائفة فى تحبيذه .

وقد توج جهاد الوطنيين عندما رفضت الجمعية العمومية المشروع فى أبريل ۱۹۱۰ بالاجماع فيما عدا الوزراء وكان من بينهم سعد زغلول باشا ناظر المعارف الذى كان متوليا الدفاع عن المشروع أمام الجمعية العمومية . وبينما كانت الجمعية العمومية تناقش مشروع مد امتياز قناة السويس اغتال ابراهيم الوردانى ناظر النظار بطرس غالى باشا لتأييده مشروع مد امتياز قناة السويس ورئاسة المحكمة المخصوصة التى حاكمت المتهمين فى قضية دنشواى واذ كان الوردانى من شباب الحزب الوطنى فقد راحت الحكومة تقبض على زعماء الحزب وقادته وتفتش بيوتهم ومكاتبهم ومنازلهم وكان أمين الرافعى من بين الذين حقق معهم وفتشت منازلهم ومكاتبهم ولكن الحكومة لم تجد دليلا واحدا ضد أحد من الحزب الوطنى

فيما عدا الورداني الذي اعترف بارتكاب جريمة القتل وكان الرافعي أثناء التحقيق مع الورداني واثناء محاكمته يعلق كل يوم على ما يجرى في التحقيق والمحاكمة وقد اولاهما الشعب كل اهتمامه ولما حاول الاستعمار البريطاني انتهاز فرصةمصرع بطرس غالي للايقاع بين عنصرى الأمة وعندما التقت ارادة الاستعمار مع ارادة الخديو عباس حلمى الذى اراد بدوره - كما يقول قليني فهمي باشا في مذكراته وكما تقول جويدان هانم حرم الخديو عباس حلمى فى مذكراتها - تسميم الآبار أمام السير الدون جورست المعتمد البريطاني في مصر بايقاع الفتنة بين عنصرى البلاد فى أوائل عام ١٩١٠ وقف أمين الرافعى بكل حزم وقوة يكشف ما وراء الفتنة ، وكان الوطنيون بقيادة الحزب الوطنيقد قرروا عقد مؤتمر وطنى لهم بباريس فىسبتمبر ١٩١٠ لفضح الاستعمار البريطاني فى مصر غير أن الحكومة الفرنسية مجاملة للحكومة البريطانية قررت عدم الموافقة على عقد المؤتمر ولذلك استدعى مسيو بيشون وزير الخارجية الفرنسية الزعيم محمد فريد وأخبره بقرار الحكومة ورأى فريد ورفاقه وكان من بينهم أمين الرافعى الاسراع بعقد المؤتمر فى أى مكان آخر بأوربا فأجروا اتصالات عاجلة ببعض الحكومات الاوربية ورحبت الحكومة البلجيكية بعقد المؤتمر فى موعده فى بروكسل وكان أمين الرافعى هو الذى ينشر محاضر جلسات المؤتمر ويبعثبها الى العلم مع المزيد من آرائه وتعليقاته والدروس التاريخية والوطنية التى كان يضمنها رسائله وكان الشعب المصرى يتلقف رسائل امين الرافعى عن المؤتمر بحماسة ولهفة وكانت هذه الرسائل ترجمانا صادقا لكل كبيرة وصغيرة فى المؤتمر ويقول رفاق أمين الرافعى فى المؤتمر انه كان يظل عاكفا ساعات كل ليلة يدون رسائل المؤتمر وكثيرا ما كان هؤلاء الرفاق يشفقون عليه من عناء العمل ويلاحظون عليه انه كان لا يكف عن الكتابة حتى فى أوقات راحته ويطلبون اليه أن يعرف لنفسها حقهافى

الراحة فكان يقــول لهم : « دعــونى فان عــلى مهمة يجب أن أؤديها بصدق واخلاص » وسنعود مرة أخرى الى الحديث عن وسائل أمين الرافعى عن هذا المؤتمر الوطنى .

ويقول الأستاذ أحمد وفيق : عاد أمين من المؤتمــر الوطنى ببروكسل وعدنا معه وأخذنا فى العمل معا جنبا الى جنب فى جريدة « الشعب » التى استقر القرار على ظهورها بعد انتهاء مدة احتجابها مرتين وبعد أن كانت سياسة الوفاق تغلق كل يوم صحيفة . فتصدر محلها فى اليوم نفسه صحيفة أخــرى ما كانت الأمة تعرف عنها خبرا قبل صدورها ولكنها كانت واثقة من أن صحيفة ما للحزب الوطنى ستصدر .

وتتوالى الأحداث السياسية عــلى مصر سريعة وعنيفة ؛ وحدث فى نوفمبر سنة ١٩١٠ أن مر الخديو عباس حلمى الثانى بمدينة طنطا ففوجىء بالطلبــة مصطفين عــلى رصيف المحطة يهتفــون للدســتور . وانزعجت الحكومة من هتاف الطلبــة واهتزت دوائر الاحتلال البريطانى لنبأ هذه الظاهرة التى كانت قوية وعنيفة ومنظمة فالقى القبض على أكثر من عشرين طالبا بتهمة انتمائهم الى جمعية سرية وقد تولى الرافعى الدفاع عن هؤلاء الطلبة واعتبر قضيتهم قضية الدستور والحرية وراح ؛ كما قال صادق عنبر ؛ يثبت براءة الطلبة ويحتــــج على مسلك الحكومة حيالهم .

وفى أغسطس سنة ١٩١٠ حكم على الشيخ عبد العــزيز جاويش رئيس تحــرير جريدة الحــزب الوطنى بالحبس ثلاثة أشهر مع النفاذ فخلفه أمين الرافعى فى رياسة تحرير صحف الحزب الوطنى ولا تقول صحيفته لأن سلطات الاحتلال كانت تلغى بجرة قلم أى صحيفة يصدرها الحزب الوطنى ليصــدر الحزب كما ســبق أن ذكر الاستاذ احمد وفيق صحيفة أخرى فى نفس اليــوم تحت أى اسم ثم القى بالزعيم محمــد فريد فى

السجن لمدة ستة اشهر بنفس التهمة التى حوكم من اجلها الشيخ عبد العزيز جاويش وهى « تحسين كتاب وطنيتى » للشيخ على الغاياتى وكان أمين الرافعى يوم أن قدم محمد فريد الى المحاكمة قد كتب بتاريخ ٢٤-١-١٩١١ مقالا تحت عنوان « أنزلوا بنا ما شئتم من الشدة » وعلق فى ٢٧ ينـاير ١٩١١ على الحكم على رئيس الحزب الوطنى بالسجن فقال : ماأصدرت المحاكم فى مصر حكما قابلته الأمة من كبيرها الى صغيرهابمثل هذا الاستياء الذى قوبل به حكم أمس فان حبس الرئيس فى حد ذاته لا يضيره ولا يلحق بنا شيئا من الأذى ويكفيه ويكفينا ذلك العطف الذى يقوى تياره ويضم الى الحركة الوطنية قوى جديدة ، كما قال « جورنال دى كير » . والحق يقال اننا لوظللنا هذه الستة اشهر نخطب باقوى لسان ونكتب بأرهف قلم فى سبيل المبادىء الوطنية لما استطعنا ان نجمع حولنا جزءا من تلك القوى الجديدة التى انضمت الينا » .

وكان اللورد كتشنر الذى جاء الى مصر فى يوليو ١٩١١ خلفا للسير الدون جورست المعتمد البريطانى قد رأى أن يحكم البلاد بيد من حديد وان يلقى بقائد الحركة الوطنية الى السجن مرات ومرات ليتخلص منه . وآثر محمد فريد فى مارس ١٩١٢ أن يغادر البلاد لمواصلة كفاحه فى أوربا وقد تأثرت الحركة الوطنية من هجرته على النحو الذى فصلناه فى كتابنا عن محمد فريد ، فتوقف الى حد كبير انشاء النقابات والجمعيات التعاونية ومدارس الشعب ، وأصيبت حركة الانبعاث القومى الثورى التى كادت تشمل البلاد جميعها ابتداء من عام ١٩١٢ بالانكماش والضعف حتى قيادة الحركة الوطنية الممثلة فى اللجنة الادارية للحزب الوطنى قد اصابها الانقسام ولم تعد قادرة على الاجتماع لبحث أخطر الأمور التى مرت بالبلاد وبلغ الأمر باللجنة الادارية أن أصبح بعض أفرادها يؤيد الاتفاق مع الخديو والبعض الآخر يعارض هذا الاتفاق الى أن اجتمعت فى

سبتمبر ١٩١٢ لبحث موضـوع مقالات كان محمـد فريد قد نشرها فى صحيفتى « لى سيكل » « ولاكسيون » الفرنسيتين تتضمن طعنا فى الخديو عباس حلمى الثـانى وتكشف اتفاقا سريا تم بينه وبين انجلترا تتولى بريطانيا بمقتضاه حماية مصر وفصلها عن الدولةالعلية مقابل تنصيب الخديو خليفةللمسلمين وقد أبلغ على فهمى كامل بصفته وكيلا للحزب الوطنى محمـد فريد بوصـفه رئيسا للحـزب بخطاب مؤرخ فى ١٣ سـبتمبر ١٩١٢ يسأله فيه طبقا لقرار اللجنة «عما اذا كانت هذه المقالات بقلمه أم لا » ويخبره بأن اللجنة قد حـددت له ثلاثة أسـابيع للدفاع فيها عن نفسه طبقا للقانون الأساسى للحزب والا فانها تعتبر عدم رده امتناعا عن الاجابة وقد أحدث هذا القرار من اللجنة الادارية ثورة داخل اللجنة ذاتها وداخل الحزب أيضا .

أما داخل اللجنة فقد رأى المسـالمون للخـديو نشر قرار استنكار اللجنـة للمقالات فى الصحف فلما لم ينشر هـذا القرار استقالوا ومن بينهم عـلى المنزلاوى ومحمـود فهمى سكرتير الحزب . وفى داخل اللجنـة الادارية أيضا هدد الممالئون لمحمـد فريد بالاستقالة اذا نشر أى شىء يتعلق باستنكار اللجنة لهـذه المقالات موضع التحقيق .

وفى داخل الحـزب رأت الغالبيـة أن مجرد اثارة هذا الموضوع والحديث عن التحقيق مع محمد فريد رئيس الحزب الذى انتخبته الجمعية العمومية للحزب للرئاسة مدى الحيـاة يعد عملا غير قانونى وغير أخلاقى فى الوقت نفسـه وقد رد محمد فريد على خطاب على فهمى كامل بالاستقالة من الحزب « مراعاة لصالح الحركة الوطنية أقدم هذه الاستقالة من رئاسة الحزب وعضوية اللجنـة الادارية راجيا عرضـها على الجمعية العمومية المختصة دون غيرها فى قبولها مع التأكيد بانى باق على مبادىء الحزب العشرة خادما لها وللوطن المحبوب الى آخر

قسمة من حياتى التى وقفتها على خدمة الوطن واهله »وبالطبع لم يجرا على فهمى كامل ولا اللجنة الادارية على دعوة الجمعية العمـومية للاجتماع لبحث استقالة محمـد فريد لأن الجميع يعلمون أن الجمعية العمومية لا يمكن أن تقبل استقالة محمـد فريد وهى التى اختارته منذ فترة قصيرة رئيسا للحزب مدى الحياة .

واذا كان خطاب التحقيق مع محمد فريد الذى وقعه على فهمى كامل يحمل تاريخ ١٣ سبتمبر ١٩١٢ فان استقالة امين الرافعى من رئاسة تحـرير العلم لسـان حال الحزب الوطنى كانت بتاريخ ١٥ سبتمبر ١٩١٢ فقد فوجىء الرأى العام بالعلم ينشر فى صفحته الأولى مقالا يحمل عنـوانه لماذا استقلت من تحرير العلم ؟ .

ويقول الرافعى فى مقاله انه قدم الاستقالة وكان يرغب فى الا يكتب بشأنها كلمة ما ، ولكنه وجد نفسـه مدفوعا الى بيان اسباب الاستقالة لغرضين : أولا دفع ما علق بالاذهان مما لا يتفق وحقيقة الواقع . وثانيا تقرير مبدأ من مبادىء مصطفى كامل يريد فريق من اللجنـة الادارية للحزب الوطنى بعـد أن استقـال أكثر اعضائها ان يحيد عنـه لغير سبب معقول . ورد الرافعى على ما ذهب اليه البعض من انه لم يقدم على الاستقالة الا تخلصا من الظروف الحاضرة . فقال : انى لأقول لأصحاب هذا الرأى انه لو كان لمثل هذا الدافع سبيل على لآثرت البقاء فى سويسرا حينما حمل الى البرق نبأ اشاعة النفى المعـروفة واظن أن هذه الكلمة كافية لدفع تلك التهمة عنى وقـد ذهب فريق آخر الى اننى أبيت أن اذعن لقرار اللجنة الادارية الذى يقضى بايجاد رقابة على تحرير العلم وهذا اظن لا محل له لأن الذى يطلب صباح مساء أن تكون على الحكومة رقابة من الامة لا يأبى وجود رقابة على تحرير العلم من اللجنة التى تعبر عن

لسان الحزب فليست الجرائد التى نصدرها الآن ملكا لفرد تسير حسب اغراضه وانما هى لسان حال جماعة أو هيئة او حزب فلا يمكن أن تؤدى وظيفتها حق الاداء اذا لم تكن عليها رقابة من الهيئة التى تعبر عن ميولها . ولا جرم انها اذا استبد بها فرد أو بضعة افراد فقدت مركزها الذى حصلت عليه بسبب تعبيرها عن أفكار مجموع لا افكار فرد واحد .

ثم يقول الرافعى « اما السبب الحقيقى لاستقالتى فهو ما رأيته من انى ساكون فى يوم ما على خلاف مع بعض أعضاء اللجنة الادارية الذين يسيرون شئون الحزب الآن بعد أن علمت من امر نزعتهم التى ترمى الى الحيدة عن مبدأ من اهم مبادىء مصطفى كامل وهو أن يكون للحزب الوطنى وجود ذاتى مستقل واذا كنت امقت كل شقاق داخلى فقد آثرت التنحى عن تحرير العلم قبل ان يحدث ذلك الاحتكاك المسبب للخلاف ».

وفى اليوم التالى ١٧ سبتمبر تنشر « العلم » لعلى فهمى كامل وكيل الحزب الوطنى كلمة تحت عنوان لماذا استقال امين الرافعى يقول فيها : ما كان بودى أن أكتب كلمة واحدة فى هذا الشأن لولا ان المستقبل عزيز علينا .

انى أرى خطأ بينا فى الخطة التى اتبعها امين افندى لسببين : الأول : انه استقال فى هذه الظروف التى ارى الوطنية المصرية فيها أحوج اليه منها فى غيرها . الثانى : انه بنى الاستقالة على سبب لا يصح أن تبنى عليه لأن القلب الوطنى الكبير لا يتخلى عن العمل لوجود فرد او افراد يتنصلون عن مبدأ من مبادىء الحزب بل على العكس يتمسك بعمله أكثر من قبل ليحارب هؤلاء الخارجين ان كان ثم حقيقة خارجون لذلك الح على حضرة امين افندى الرافعى باسم الوطن والوطنية أن يسترد استقالته هذه وأن يقدم شكواه بالوسائل المشروعة فى قانون الحزب ضد من يتهمهم بادخال الحزب فى احضان اية سلطة من السلطات والله الهادى الى أقوم سبيل »

وفى نفس العدد الذى نشرت فيه كلمة على فهمى كتب امين الرافعى مقالة تحت عنوان « رد على رد » قال فيها : ان لى مبدأ .

ويبقى الرافعى بعيدا عن العمل الصحفى وفى ١٩ديسمبر ١٩١١ تصدر الحكومة قرارا بتعطيل جريدة العلم ثلاثة أشهر بحجة سلوك العلم مسلك الطعن فى الحكومة مما يحمل الناس على كراهيتها لنشره مقالا بتاريخ ١٨ ديسمبر ١٩١١ فيه انتقاد للاحتلال والحكومة وبدأ الرافعى يعمل فى صحيفة الشعب كرئيس تحرير لها وأصبح « الشعب » يعد فترة لسان حال الشعب ونال « الشعب » المكانة التى كانت للواء ايام مصطفى كامل وظل امين الرافعى يصدر الشعب الى أن اغلقها فى ٢٨ نوفمبر ١٩١٤ ويمكننا ان نلخص عمل امين الرافعى فى تلك الفترة من حياته بعد أن تخرج من مدرسة الحقوق فى صيف عام ١٩٠٩ الى نوفمبر ١٩١٤ عندما اغلق بمحض ارادته صحيفة الشعب فيما يلى :

* كان الرافعى يناقش احداث العام الذى مضى : اما فى اخريات ايام ذلك العام ، واما فى الايام الاولى من العام الجديد . وكانت مناقشاته تتسم بالصراحة وهو يقول ما للامة وما عليها فيما مر بها من احداث وكان ينتهز كل فرصة للأشادة بجهود العاملين من ابناء الشعب ويحمل بكل ما يملك من قوة على خصوم الشعب .

* وكما تعود الرافعى مناقشة احداث كل العام بصراحة وجراة تعود كذلك مناقشة تقارير المعتمد البريطانى فى مصر التى كانت تصدر عادة فى منتصف كل عام وتحوى من وجهة النظر الاستعمارية ابرز معالم أحداث العام وكان من أجرا من تناول هذه التقارير وقد رد على من تساءلوا فى ٣٠ مايو١٩١٣ « عن فائدة الكتابة فى هذا الموضوع والمعتمد البريطانى سيظل نافذ الكلمة » فقال ان الكتاب الذين يتوخون فى كتابتهم تجنب

كل ما يمس الأجنبى عن البـــلاد ابتغاء أن يكســـبوا رضاه ويحملوا الامة على الركون اليه انما هم جناة .

* ولم يكن الرافعى يترك مناسبة من المناسبات الوطنية (مثل ١١ يوليـــو تاريخ ضرب الاســكندرية) ، (١٤ ســبتمبر دخول القوات البريطانية القاهرة) الا استغلها لتعمئة الشعور الوطنى وقــد طالب فى ١٤ ســبتمبر ١٩٠٩ تحت عنــوان : « الحداد الحداد .. أيتها الأمــة » باعلان الحـداد فى هذا اليوم الذى وطئت فيه جنود الاحتلال ارض هــذا البلد فكان آخر عهدنا بالاستقلال ، وعندما اســتجاب الشعب الى دعوته وخرجت الصحف مجللة بالسواد كتب فى ١٤ ستمبر يطلب من الأمة الا تنسى هــذا اليــوم . ويقــول : اذكروه ولا تنســكم الايام ما حل بكم فيه .

* اهتم الرافعى اهتمــاما خاصــا بانتخــابات الجمعية التشريعية بالرغم من مقاطعة الوطنيين لهذه الانتخابات وكان من رايه تشجيع العناصر الطيبة مهما تكن الأحــزاب التى ينتمون اليها وقد عارض فى ١٦ سبتمبر ١٩١٣ اشتراط الثروة فى المرشحين وقال ان هذه الشروط من بقايا الأنظمة القديمةالتى تفشت فى القرن الثامن عشر لأنهم كانوا يعتقدون أن صاحب الأطيان والعقار هو الذى يحرص على مصلحة بلاده وهذا اعتقاد خاطىء لا يمكن أن يقام له وزن بعــد ان تغلبت نظرية حــكم الشعب على غيرها من النظريات وحتى أصبحت هذه النظرية اساسا للنظم الدستورية المتبعة فى اكثر البــلاد . ونادى فى ٢٦ ســبتمبر ١٩١٣ بانه لابد من وزارة مســئولة أمام مجلس نيابى صحيح وبعبــارة صريحة واضــحة نريد انتقال السلطة الفردية الى الأمة لا الى غيرها ونفاذا لتعليم ديننا وعملابمبادىء المدنيــة الحاضرة لأن الأمة مصــدر كل حق وكل قوة ، وطالب بانشاء حزب للمعارضة داخــل الجمعية التشريعية كما طالب بحرية الانتخابات ووقف الرافعى الى جانب سعد زغلول فى

الانتخابات كما وقف الى جانبه فى أزمــة من يرأس الجمعية التشريعية عند غياب الرئيس : هل هو الوكيل المعين أم الوكيل المنتخب وكان سعد زغلول هو الوكيل المنتخب وكانت الحكومة تريد الوكيل المعين عدلى يكن باشا .

* ولم يكن الرافعى يهتم فقط بالمســائل السياسية بل كان يهتم أيضا بالمسائل الاجتماعية وكان يهتم بمشاكل التعليم ويكتب كثيرا عن مسائل الطلبة ومرة فى ٢٥ أكتــوبر ١٩٠٩ كتب مقالا تحت عنوان « بنك الكستبان الاحمر » ، تعليقــا على خطابات ارسلتها ناظرة مدرسة السنية الى أولياء أمورالطالبات لشراء « المرايل » من محل معين صــاحبه انجليزى وكان مما قاله انه لا يجوز لحضرة الناظرة ان تعلن عن محل تجارى مهما كانت جنسية صاحبه بارغام تلميذاتها على شراء ملابسهن منه فان فى ذلك تعسفا لا معنى له .

* كان الرافعى من خيرة المعلقين العسكريين الذين ظهروا فى الصحافة المصرية فى العشرينات فكان يحــرر مقــالاته عن المعارك الحربية سواء فى حروب البلقان أو فى بداية الحــرب العالمية الأولى فى صورة مستحدثة مدعمة بالوثائق والخرائط، وآراء الخبراء الفنيين العســكريين فى المعــارك السابقة الأمر الذى جعل الرأى العام يهتم اهتماما خاصا بهذه المقالاتويعجب اعجابا شديدا بسداد رايه واتقانه الفن العسكرى والمران الفنى فيه حتى ذاع صيته واكتملت شــهرته كمــا يقــول رفيقه احمد وفيق فازداد اقبال الجمهور على جريدة الشعب اقبالا عظيما لأنه كما يقول صــادق عنبر كان يرى فيها الحقائق التى كانت تحجبها البلاغات الرسمية وازداد عجب الراى العــام بلباقته وشجاعته وسداد رأيه . وقد جمع أمين الرافعى مقالاته عن الحرب فى ثمانية كراسات يعتقد انها ضرورية لكل من يؤرخ « الحرب العالميــة الأولى » وكانت الصحف المعــادية للحركة الوطنية تحمل عليه بسبب مقالاته عن الحرب وقد رد فى ١٩١

اكتوبر ١٩١٤ على « المؤيد » و « الاجبشيان جازيت » قائلا ان ما نكتبه عن الحرب لا يمليه علينا تحيز ولا ميل لفريق دون آخر ، وانما يمليه علينا نظرنا الى الأمور نظرا مستقلا وكثيرا ما تتفق كتاباتنا وكتابات غيرنا الذين تروق خطتهم منتقدينا وانما الفارق هو أن خصومنا ينظرون الينا بمنظار أسود ونحن على ثقة بانهم لو نظروا الينا بالعين المجردة من كل ما يثير الوهم الكاذب لأراحوا أنفسهم وأراحونا معهم ولعلهم فاعلون بعد اليوم ؟

وكان آخر مقال للرافعى فى « الشعب » ما كتبه بتاريخ ٢٥ نوفمبر ١٩١٤ تحت عنوان « الحرب فى الميدان الشرقى »وفى الميدان الغربى . « فى البلقان » وكان هذا المقال كغيره من مقالات الرافعى عن الحرب تغطية كاملة وشرحا مستفيضا للحرب على جميع الجبهات فى يوم ٢٤ نوفمبر ١٩١٤ ويصدر الشعب فى يومى ٢٦ ، ٢٧ نوفمبر ثم يختفى فى ٢٨ نوفمبر ١٩١٤ بعد ان قرر الرافعى اغلاقه حتى لاينتشر خبر اعلان الحماية البريطانية على مصر وكان العدد الأخير من الشعب يحمل رقم ٨٥٤ .

الـــرافعى فى السجـــن

كان الرافعى فى شهر مايو ١٩١٤ يستشفى كعادته من كل عام فى بعض المدن الأوربية وفوجىء باقتراب السنة اللهب من مستودع البترول الذى كانت ترقص فوقه اوربا وعندما أطلق الشاب الصربى برنسيب رصاصاته من قلب مدينة سراييفوا ، الى قلب الأرشيدوق فرانسوا فرديناند ولى عهد النمســا فى ٢٨ يونيو ١٩١٤ ايقن الرافعى أنها الحرب واعلنت النمسا الحرب ضد الصرب وهبت روسيا لنجدة الصرب ، وانتصرت المانيا لحليفتها النمسا ، ووقفت فرنسا وانجلترا الى جانب روسيا ، وكان من المؤكد الا بعود الرافعى الى مصر فما بينه وبين الاحتلال البريطانى من الخصومة والعداء يعنى أنه سيصبح عند عودته نزيل السجون والمعتقلات ، ولكن الرافعى أصر على العودة الى بلاده فما يليق فى رايه بالجندى أن يبتعد عن الميدان وقت اشـتداد المعارك وعـاد الرافعى فى ١٢ اغسطس ١٩١٤ ليستانف جهاده فى صحيفة « الشعب » ورات بريطانيا أن الحرب لا بد منتهية الى تحقيق حلمها القديم فى ضم مصر الى ممتلـــكاتها ، وقررت أن تمهــد لذلك « الضم » باعلان الأحكام العرفية وتعطيـــل جلســات الجمعية التشريعية . وقد انتقد الرافعى اعلان الأحكام العرفية

لأن مصر ليست مشتركة فى هذه الحرب ، وانتقد تعطيل جلسات المجلس النيابى لأن الدول التى تحارب لم تعطل مجالسها النيابية اذ ان عمل المجالس النيابية فى وقت الحرب أهم منه فى وقت السلم . واستدعى الرافعى بعد ايام من اعلان الأحكام العرفية لمقابلة المستشار الداخلى للمعتمد البريطانى فى مصر ، وتحدث المستشار طويلا عن ظروف الحرب وضرورة اعلان الحماية البريطانية على مصر كاجراء وقتى وهدد الرافعى برأسه ورؤوس زملائه اذا هو انتقد ما سيحدث فى مصر من انقلاب يتم فى اثره اعلان الحماية كما هدد برأسه ، ورؤوس زملائه اذا حدث فى البلاد اى حادث يشتم منه الثورة على الاحتلال البريطانى . وقال المستشار البريطانى فى لين ونعومة : اما اذا رضخت لما سيحدث وعملت على تدعيمه فلك عندنا الحظوة ولك منا ضمان المستقبل . وثار أمين الرافعى ثورة عنيفة على المستشار البريطانى مؤكدا له ، انه سيعارض اى اجراء يحدث فى البلاد على قدر استطاعته . وأكد أمين الرافعى للمستشار البريطانى فى كبرياء وثقة ، انه لا يمكن أن يكون أداة خيانة لبلده ، وكانت مصر — اسما — فى بداية الحرب على الحياد الى أن دخلت بريطانيا الحرب ضد المانيا فبدأت حكومة مصر ، فى ٥ اغسطس ١٩١٤ تنحاز اسما وفعلا ، وعندما دخلت تركيا الحرب ضد روسيا حليفة انجلترا — فى أول نوفمبر سنة ١٩١٤ أعلن مكسويل قائد الجيوش البريطانية فى مصر الأحكام العرفية فى ٢ نوفمبر ووضع الرقابة على الصحف كما اذاع فى ٥ نوفمبر بيانا قال فيه ان بريطانيا تحارب لغرضين هما الدفاع عن حقوق مصر وحريتها التى كبتها محمد على فى ميدان القتال واستمرار هذا القطر على التمتع باليسر والرخاء اللذين تمتع بهما مدة الاحتلال البريطانى فى ثلاثين سنة . ولعلم بريطانيا بما للسلطان بصفته الدينية من الاحترام والاعتبار عند مسلمى القطر المصرى فقد اخذت بريطانيا على عاتقها جميع اعباء هذه الحرب دون أن

تطلب من الشعب المصرى أية مساعدة ، لكنها مقابل ذلك تنتظر من الاهالى وتطلب اليهم الامتناع عن اى عمل من شأنه عرقلة حركات جيوشها الحربية او اداء اى مساعده لأعدائها .

وكان واضحا منذ ذلك الوقت والخديو عباس حلمى الثانى فى تركيا انه لن يعود الى مصر ، وأن أحـــدا من افراد اسرته سيحل محله فى حكم البلاد . وقد نشرت صحيفة الشعب فى ١٩١٤/١١/٦ تحت عنـــوان البرنس حسين كامل ـ قالت ان حقيقة الواقع من سفر البرنس حسين كامل باشا ، بغتة بدعوة من العاصمة ووصوله اليها على قطار خـــاص هى أن الضرورة الهامة دعت لذلك وان دولته قابل عطوفة القائمقام الخديو حسين رشدى باشا مقابلة طويلة وقابل ايضا جناب المستر شيتيهام وانه من الواضح ان اهمية عظمى تعلق على هذه المسألة ولكن جلية الأمر لم تعرف لأحد مطلقا فى هذا الموضوع » .

ونشرت الشعب فيما بعد (١٩١٤/١١/٢٢) تحت عنـوان مأدبة : أقام جناب القائد لجيش الاحتـــلال مأدبة فى منـــزله لدولة الأمير حسين كامل باشا وقد حضرها جناب المستر شيتيهام القائم بأعمال الوكالة البريطانية فى مصر .

وبدا واضحا ان انجلترا ستعلن الحماية على مصر ، وانهـا ستمنع الخديو عباس حلمى الثانى من العودة الى مصر وانها ستعين بدلا منه الأمير حسين كامل ، وكان معروفا ان قرار اعلان الحماية البريطانية على مصر ، لا بد من نشره فى الصحف عند صدوره بسبب وجود الأحكام العرفية ووجود الرقابة على الصحف . وبعد مداولة قصيرة بين أمين الرافعى وبين شقيقه عبدالرحمن الرافعى وعبدالله بك طلعت مدير الجريدة ، تم الاتفاق على اغلاق الشعب وكان الغرض من ذلك الا ينشر اعلان الحماية المشئوم والبلاغات التى تستتبعها الحماية البريطانية ووقع قرار اغلاق الشعب فى وقت بلغت فيه صحيفة الشعب ذروتها فى

الانتشار والرواج والمكانة الصحفية اذ كانت أوسع الجرائد انتشارا وكان الجمهور يتلقفها كما يقول الأستاذ عبد الرحمن الرافعي - ليتعرف منها أنباء الحرب العالمية ويتحسس منها اتجاه الوطنية فكان ايقاف صدورها فضيحة مالية كبيرة ووصف عبد العزيز رفاعي في كتابه ثورة مصر سنة ١٩١٩ قرار امين الرافعي بوقف اصدار جريدة الشعب بأنه أول احتجاج مصري على الحماية البريطانية . وقد صدرت الشعب في ٢٧ نوفمبر سنة ١٩١٤ معلنة أنها ستحتجب من اليوم وانها ستعود الى الظهور بمشيئة الله .

وقد كان الرافعي ، وهو الذي كان أول صوت مصري احتج على اعلان الحماية البريطانية ، من أوائل المعتقلين . وقد اودع في البداية سجن الاستئناف بالقاهره . ويروى الأستاذ عبد الرحمن الرافعي قصة هذا الاعتقال فيقول كان اعتقالي بالمنصورة يوم ١٧ اغسطس سنة ١٩١٥ وفي نفس اليوم اعتقل لفيف من أهل المنصوره ممن عرفوا بميولهم الوطنية ورحلونا معتقلين الى القاهرة حيث أودعونا سجن الاستئناف بباب الخلق وهناك التقيت بأخي امين الرافعي وبفوج آخر من الوطنيين اعتقلوهم مصر يوم اعتقالنا وكان نظام الاعتقال بسجن الاستئناف ان تخصص كل غرفة من الغرف الانفرادية لاثنين من المعتقلين وقد استقبلنا موظفو السجن وعماله بالاحترام والتقدير لأنهم عرفونا وعرفوا اسباب اعتقالنا .. وفي ٣٠ أغسطس جاءنا الفرج باطلاق سراحنا بل بنقلنا الى معتقل اعدوه لنا بدرب الجماميز في مبنى مخازن وزارة المعارف ، ذلك أن اعتقالنا في سجن اعد لاستقبال المحكوم عليهم او المنتظر ان يحكم عليهم في الجرائم قد قوبل بالسخط والاستنكار وسمح لنا في السجن الجديد ان نختار من الغرف الصغيرة والمتوسطة ما نشاء ، وأن يختار كل منا زملاءه فاخترت مع اخي امين غرفة واحدة كان بابها مفتوحا في كل وقت .

وفي شهر سبتمبر سنة ١٩١٥ نقلونا الى معتقل آخر أعدوه لنا في بلدة طرة بجوار ليمان طره المشهور ويبدو أن سبب نقلنا الى هذا المعتقل الجديد أن السلطة العسكرية رأته ابعد عن أنظار الناس وعن الزيارات العائلية من معتقل درب الجماميز وربما من أسباب هذا النقل ايضا ان معتقل درب الجماميز ضاق بمن فيه اذ زاد علينا بعض طلبة الحقوق الذين اتهموا بتحريض زملائهم على الاضراب يوم زيارة السلطان حسين كامل لمدرستهم .

أما احمد وفيق فيقول : علمت وأنا فى طرة ان الرافعى وسائر اخواننا قد اعتقلوا فى سراى درب الجماميز حيث نقلت الى هناك فوجدته وجميع الوطنيين الا بعض الجواسيس ، ثم نقلنا الى طره وسط لمعان الحراب والسيوف داخل عربات السجن ونحن نصيح ، لتحيا الحرية ليحيا الاستقلال . وكان الرافعى هناك خير معين لنا على تفهم الحركات الحربية والمعارك الدموية وقت فراغه من عبادة الله والخلوة اليه ، وقد مكث هناك الى أن اكتمل اعتقاله احد عشر شهرا تحمل فيها الصبر على مرها وتجرع علقمها فى ايمان لا يتزعزع وعقيدة لا تتزلزل .

وكان ضمن مخلفات امين الرافعى أصول بعض الخطابات التى ارسلها الى حكمدار القاهرة والى حسين رشدى باشا رئيس الوزراء ، وفى هذه الخطابات يطالب الرافعى بالتحقيق معه واحالته الى اى محكمة لتفصل فى أمره اذا كانت هناك تهمة ضده .. ويظهر أن الرافعى ـ وهذه اول مرة أعتقل فيها ـ كان حسن الظن بالحكام الى حد كبير .. لقد كان يلح باستمرار فى أن يعرف التهمة الموجهة اليه اذا وجدت ويلح فى التحقيق معه . ويضرب الامثلة على ضرورة التحقيق وسهولته . لقد وقعت اخيرا جريمة شنيعة هى جريمة الاعتداء على احد الوزراء فكانت ثمانية وعشرون يوما كافية للتحقيق فيها بواسطة السلطة المدنية فالسلطة العسكرية فالمحاكمة فالتنفيذ . فهل التحقيق ـ كما تساءل الرافعى فى كتاب منه الى حكمدار العاصمة بعد مرور شهرين

على اعتقاله ـ مع البرىء يتطلب زمنا اطول من الذى تقتضيه محاكمة المجرم الأثيم ! ويقول فى احد خطاباته الى رئيس مجلس الوزراء : اذا اتهم شخص بالقتل ، وهو أكبر الجرائم فان شهرا واحدا يكفى فى أغلب الأحوال لأن يسأل ويحقق معه ويحال على المحاكمة ويصدر الحكم بشأنه .. وأما ذلك الشخص البرىء الذى ضمن له دولة رئيس الوزراء أنه لا يصيبه أذى ما دام على رأس الوزارة والذى صرح سعادة النائب العام فى محضر التحقيق الرسمى انه لم يعمل عملا ما ضد الحكومة ـ هذا الشخص يترك نسيا منسيا دون ان يعرف على الأقل التهم الموجهة اليه . ان البرىء يعامل ابشع من معاملة المتهم بالقتل ، اذا كان ثمة تهمة موجهة ضدى فليحقق معى ولتحيلونى على أى محكمة ترونها فاذا وقع المستحيل وأصدرت المحكمة حكمها بادانتى واعتقلت بناء على حكمها فاننى اكون اقل الما مما انا عليه الآن وانا سجين بغير حكم ، ومعتقل بغير تهمة اعرفها ولمدة لا أعلمها ». وقد يلام الرافعى على اسرافه فى المطالبة بالافراج وفى ثقته فى عدالة الحكومة المتواطئة مع الاحتلال . ذلك الاحتلال الذى كان الرافعى اول من احتج عليه واغلق صحيفته حتى لا ينشر قراره باعلان حمايته على مصر . ولكن يظهر من خلال خطابات الرافعى الى رشدى باشا وحكمدار العاصمة ان المعتقلين كانوا يعاملون اسوا معاملة ، فالحياة فى نظرهم أصبحت لا تطاق بأى حال ، فالجو ردىء والرياح تحمل اليهم من الأتربة ما يتلف العيون ، والماء لا يصلح لشىء من ضرورات الحياة ، والروائح الكريهة تنبعث من المراحيض الموضوعة على طريقة تخالف القواعد الصحية ، وفوق هذا فان الليل لا يكاد يرخى سدوله حتى يصبحوا فى ظلام حالك فاذا أرادوا مغادرة الخيمة الى الخارج او الى خيمة أخرى عثرت أقدامهم فى حبالها او اوتادها . وقصارى القول ان صحتهم اصبحت مهددة بخطر كبير اذا طال اعتقالهم فى طرة أكثر مما فات ».

وبعد ان بقى الرافعى وشقيقه عبد الرحمن فى طـــرة الى فبراير ١٩١٦ نقلا الى معتقل آخر بالجيزة فى مبنى سجن قديم مهجور كان يعرف بالسجن الاسود .

ويقول عبد الرحمن الرافعى أنهم مكثوا فى هذا السجن الى أن أفرج عنهم يوم ١٧ يونيو ســـنة ١٩١٦ « أى مكثنا معتقلين عشرة اشهر وكان الافراج عنى مع أخى أمين بك وعبد الله بك طلعت فى يوم واحد . وقد ذهبوا بنـــا نحن الثـــلاثة الى الاسكندرية حيث أعدوا لنا عدة زيارات اقترنت باطلاق سراحنا فقابلنا حسين رشدى باشا رئيس الوزارة فى منـــزله بالرمل بمحطة كارلتون (محطة رشدى باشا) ثم ذهبنا الى سراى راس التين ، حيث قابلنا المغفور له السلطان حسين وقد استقبلنــا بعطف وحفاوة والتفت فى ختام حديثه معنا الى أخى أمين وقال له : طلع الفازيتة يا أمين بك ووعده بالمساعدة المالية لاصــدار الغازيتة (الفازيتة يعنى الصحيفة) على أن أمينا رحمه الله لم يفكر فى اعادة صحيفة الشعب طيلة مدة الحرب .

وبعد خروج أمين من الاعتقال اشتغل عاما بالمحاماة ، ولكنه وجد نفســه بحاجة ماسة الى الراحة من آلام الاعتقال . وفى فترة الحرب بذلت محاولات عديدة معه لاصدار صحيفة الشعب من جديد فلما رفض رفضا باتا ، بذلت محاولات عديدة مع عبدالله بك طلعت ، أحد أصحاب الامتياز ونشرت الأهرام كنـــوع من الضغط — فى ٢٠ يوليو ١٩١٨ تحت عنوان طلب تجديد الشعب « اتصل بنا ان عبد الله طلعت بك والذين كانوا يصدرون معـه جريدة الشعب المعروفة التمسوا منذ يومين من وزارة الداخلية ان تأذن لهم فى تجديد نشر الشعب » . وفى ٢١ يوليـــو نشرت الأهرام « ابلغنا حضرة الكاتب الفاضل أمين بك الرافعى أنه لا ينوى العودة الى الاشتغال بالصحافة . وانه عازم على الانقطاع الى المحاماة فنتمنى لحضرته النجاح » . وفى ٢٢ يوليو نشرت الأهرام — ولكن على لسان عبد الله بك طلعت — أنه لم يقـدم

طلبا الى وزارة الداخلية ولكن صاحب امتيازها محمود عثمان افندي هو الذى قدم ذلك الطلب وحده منفردا . وعاد الاهرام الى الموضوع بعد ذلك فنشر بيانا لمحمود أفندى عثمان يكذب فيه ما قاله عبد الله طلعت من انه طلب الى الداخليـــة الاذن له باصدار الشـعب .. وآكـد انه ليس له حق طلب تجديد نشر الشعب اذ لا علاقة له به كما بذلت محاولات عديدة لاحراج امين الرافعى من مصر لاصدار الشعب فى الخارج . وقد جاء الحديث عن هذه المحاولة فى المذكرات الخطية للزعيـم الوطنى محمـــد فريد ، وسوف نعود الى الحديث عنها فيمـا بعد عند تحليلنـا لشخصية امين الرافعى .

على أن الرافعى ، وان انقطع عن العمل بالصحافة تماما ولم يعد يعمل بالمحاماة بعد الافراج عنه قليلا او كثيرا ، الا أنه شغل وقته بالدراسة والبحث ، وكتابة بعض المذكرات السياسية التى تهم الرأى العام فى مصر كما تهم الرأى العام فى الخارج ، فقد كان الرافعى على ثقة تامة بأن الحرب العالمية الأولى لن تطول اكثر مما طالت وان الالمان وحلفاءهم قد أنهكتهم الحرب ولا بد لهم من الاستسلام ، ولهذا فقد انفق الرافعى ، كل وقته وجهده لوضع مذكرات مستفيضة عن القضية المصرية تصلح لما بعد الحرب ، ولم يكتف الرافعى بكتابة هذه المذكرات باللغة العربية بل ترجمها الى اللغة الفرنسية واعدها حتى قبل أن تعلن الهدنة كمـا اشترك الرافعى فى عديد من الاجتماعات السياسية التى تمت فى صيف عام ١٩١٨ ، والتى كانت تبحث مصير مصر بعد الحرب العالمية الأولى »

من جنود ثورة ١٩١٩

لى رأى خاص ــ قد لا يوافقنى عليه كثيرون ــ هو ان ثوره ١٩١٩ تاخرت فى الحقيقه عن موعدها تسع سنوات . وأن الشعب المصرى بمنظماته السرية والعلنية كان قد بدا يستعد للثورة المسلحة وان بوادر هـذا ظهـرت فى اعمـال الفدائيين المصريين ، ولكن الثورة تأخرت مرتين مرة بسبب نفى محمد فريد من مصر وانشقاق القيادة عقب سفره ومرة ثانية بقيام الحرب العالمية الأولى . يؤكد هذا أن مقاومة الاحتـلال البريطـانى لم تتوقف خلال أيام الحرب رغم اعتقال القيادات الوطنية ورغم اتخاذ أعنف الاجراءات الاستبدادية من قبل سلطات الاحتلال . لقد عبر الشعب المصرى فى أكثر من مكان وفى أكثر من موقعة عن غضبه لاعلان الحماية على مصر ولتعيين حسين كامل سلطانا ؛ فمن مظاهرات شعبية عارمة استولى فيها المتظاهرون على بعض المخابز ومحال البقالة واتحه فيها بعضهم وكانوا من الطوائف الذين جمعتهم سلطات الاحتلال قهرا وظلما الى سراى عابدين واصيب عدد كبير منهم بجروح بالغة ومن نفى لبعض القيادات النسائية كنعمت هانم حرم حجازى بك وحرم عبد الباقى العمرى لانتقادهن المستمر لسلطات الاحتلال ومن انطلاق العديد من الجمعيات السرية ومحاولات التخلص من السلطان حسين ومن

بعض وزرائه الذين مالأوا المحتل الغاصب ، وغير ذلك من مظاهر الغضب الشعبي الذي انفجر غداة اعلان الهدنة في ١١ نوفمبر ١٩١٩ . لقد ذهب ثلاثة من زعماء البـــلاد هم ســـعد زغلول وعبد العزيز فهمي وعلي شـعراوي - في ١٣ نوفمـبر ١٩١٩ المعتمد البريطاني في مصر سير ونجت للحديث معه في مطالب البلاد ، أما أمين الرافعي فقـد لجـأ للتعبيـر عن رأيه حيـال الاحتلال البريطاني الى طريقة أخرى غير طريقة مقابلة المعتمـد البريطاني . لقد أعد في منتصف نوفمبر ١٩١٩ مذكرة سياسية عن القضية المصرية طبعها بعد ترجمتها الى اللغة الفرنسية وارسلها الى معتمدي الدول الاجنبية في مصر لابلاغها الى رؤساء دولهـم وللرئيس الأميركي ويلسون وغيره من رؤساء الدول المشتركة في مؤتمر الصلح ، ونشر الرافعي هذه المذكرة باللغة العربية في مصر وحرص على أن تكون بين أيدي المشتغلين بالقضية الوطنية والشباب باعتبارها مرجعا هاما من مراجع القضية المصرية ، وهذه المذكرة كما يقول الأستاذ عبد الرحمن الرافعي أول مذكرة سياسية وضعت بشأن القضية المصرية عقب الهدنة وكانت من الوثائق الهامة التي وجهت الأنظار في ذلك الحين الى التمسـك بالأهداف الوطنية وكان لها تأثيرها في تنوير الأذهان وتبصير الرأي العام بحقائق قضية البلاد » .

وليس هنا في رأيي - مجال الحديث عن ثورة ١٩٩١ . وكل ما نستطيع قوله ان الهدنة قد أعلنت وكل قيادات الحركة الوطنية التي حمل لواءها مصطفى كامل ومحمد فريد اما في السجون أو في المعتقلات أو في المنفى . وقد كان غياب محمد فريد عن مصر اثناء اعلان الهدنة ، سببا في ظهور قيادات جديدة غريبة عن مجـال النضال القومي ، كرجال حزب الامة ، الذين كانوا ينعمون طوال مدة الحرب ، بصداقة المحتل البريطاني ، لقد وجد بالاضافة الى بعض العناصر التي ظهرت في الجمعية التشريعية أن الفرصة مواتية لامتطاء موجة الغضب الشعبي ، وقد سهل لهم هذه المهمة

الجديدة اختفاء القيادات الوطنية كما سبق أن قلنا وظهور خلافات واختلافات حادة وعنيفة فيما بقى من قيادات الحزب الوطنى ذاتها ووجود جناح يؤيد الوفد المصرى فى بداية تشكيله براسه امين الرافعى وعبد الرحمن الرافعى ، ووجود جناح آخر يعارض زعامة سعد ورغم كونه هو الجناح الاقوى الا انه لم يستطع الوقوف أمام القوة الجديدة التى تمثلت فى سعد زغلول .

وكسب الوفد معركته الأولى ضد الحزب الوطنى أو ضد فلوله كما كان يسميهم أنصار سعد ، وضم الوفد ــ الى عضويته ــ من تلقاء نفسه ودون استشارة أحد من أعضاء الحزب الوطنى مصطفى النحاس وحافظ عفيفى باعتبارهما يمثلان مبادىء الحزب الوطنى وكان راى امين الرافعى فى هذه الفترة ان يفسح المجال امام كل من يريد خدمة بلاده وأن يعقد الوية الزعامة لمن شاء العمل باخلاص ، وكان سعد زغلول يعرف حق المعرفة ان شخصية امين الرافعى من وجهة النظر الشعبية أهم واضخم من كثير من الشخصيات التى أختيرت لعضوية الوفد رغم كل ذلك لم يضم سعد زغلول « أمين الرافعى » لعضوية الوفد اذ كان سعد يعرف امينا حق المعرفة ويعرف عنفه وثوريته وقوة تمسكه بالمبدأ الوطنى لذلك رفض أن يضمه الى عضوية الوفد حتى لا يكون ثمة انشقاق خطير فى الوفد بين القوى الثورية والقوى المعتدلة فليس الخطر على القيادة الجديدة انقسامها الى معتدلين ومعتدلين وانما الخطر كل الخطر انقسامها الى معتدلين وثوريين ويبدأ الوفد عمله بارسال المذكرات .

وفى ٩ مارس ١٩١٩ انفجرت براكين الثورة .. لم يفجرها الوفد ، لم تفجرها سراى عابدين .. لم يفجرها المعتدلون أو المتطرفون من القيادة وانما فجرها الشعب من تلقاء نفسه وكان هو القائد وكان هو المعلم وكان هو المنظم فى الوقت نفسه ، لم تكن ثورة برجوازية ولا ثورة للمنتفعين ولا ثورة للمعتدلين وانما كانت ثورة الشعب كله وعندما نفى سعد زغلول ورفاقه كانت

اللجنة المركزية للوفد بالقاهرة وكان أمين الرافعي سكرتيرها المساعد محور النشاط الثورى .

ويقول الأستاذ صادق عنبر عن دور امين الرافعي في هذه اللجنة " بقى أمين يدير دفة الحركة الوطنية في لجنة الوفد المركزية التى كان روحها وقوامها فكان يحرر قراراتها ونداءاتها ويدير حركاتها لمصلحة القضية الوطنية باخلاص ونزاهة وهو الذى كتب المقالات الشهيرة « الوطنية ديننا والاستقلال حياتنا » باسم احد اعضاء الوفد سنة ١٩١٩ وسنة ١٩٢٠ فاحدثت تاثيرا كبيراً في الراى العام ، وهو أول من دعا الى مقاطعة لجنة ملنر في انحاء القطر المصرى ووافقه الوفد على فكرته فكانت هذه الحركة موضع اعجاب العالم بما اظهرته الأمة من الاتحاد وتماسك الصفوف وصدق النظر ، واستأنف جهاده في الصحافة باصدار جريدة الاخبار فنالت من المكانة لدى الجمهور ما كان للشعب والعلم واللواء من قبل .

ويقول الأستاذ احمد وفيق : ما كان أمين الرافعي في أثناء وجود الوفد في الخارج الا محور اللجنة المركزية ومديرا لدفتها وقائدها الأعلى الى أمام ودائما الى الأمام في سبيل التمسك بالحق الكامل لمصر . وهذا محضر من محاضر جلسات اللجنة المركزية للوفد . هى جلسة ٢٥ اغسطس ١٩١٩ .

افتتحت الجلسة الساعة السادسة تحت رئاسة صاحب السعادة محمود سليمان باشا وعضوية أصحاب السعادة والعزة ابراهيم سعيد باشا وفتح الله بركات باشا وحسين بك هلال وراغب بك عطية وكامل بك بطرس ومرقص بك حنا وعلى بك المنزلاوى واحمد بك الشيخ وعلوى بك الجزار ومحمد عز العرب بك وعلى بك محمود وحسنين بك عبد الغفار وسالم بك السيد وصاروفيم بك مينا وعلى بك اسماعيل والسيد حسين القصبى وتوفيق بك دوس وعبد الرحمن بك فهمى وأمين الرافعي فحلف اليمين الأعضاء الذين لم يسبق لهم حضور الجلسات ثم حضر

حضرة محجوب بك ثابت ، وبعد المناقشــة فى مسالة الاكتتــاب تقرر انتداب لجنة من حضرات محجوب بك ثابت وحسن بك هلال لوضع تقرير عن ذلك . ثم عرض على اللجنة بعد ذلك نتيجــة المفاوضات التى دارت بينها وبين اسماعيل صدقى باشا ومحمود بك ابو النصر العضوين المنفصلين عن الوفد فى جلسات سابقة وهذه النتيجة تنحصر فى أن هذين العضوين المنفصلين عرضا على اللجنة ان تتوسط لدى الوفد ليعيد النظر فى قرار فصلهما بناء على كتاب يعترفان فيه باحترامهما لمبدا الوفد وخطته وقراراته وقد ادخلت اللجنة ما رأته من التعديلات على هذا الكتاب نقبلا ذلك واصبح الجواب بالنص الوارد فى آخــر المحضر وقد تلى على الأعضاء . والذى يقرأ جلسات محاضر اللجنة المركزية يلاحظ ورود اسم أمين الرافعى فى آخر الاسماء وذلك لأنه كان يتولى سكرتارية الجلسات وكتابة المحاضر والبيانات . ويذكر الصحفيون الاجانب الذين زاروا مصر فى بداية ثورة ١٩١٩ أنهم كانوا يلقون كل معاونة من أمين الرافعى بوصفه سكرتيرا مساعدا للجنــة الوفد المركزية ويذكر مستر لارى ود بالذات وهو احد المراسلين الأمريكيين ضمن ما يذكره عن معاونة امين الرافعى للصحفيين الاجانب وكيف انه قدم اليه عددا من الاسئلة الهامة ليجيب عنها بصراحة تامة وقد تم نشر الأسئلة والأجوبة فى صحيفة شيكاغو تريبيون الأمريكية .

وتحاول بريطانيا القضاء على الثورة الشعبية ويصدر أمين الرافعى جريدة الأخبار لتكون لسان صدق للحركة الوطنية .

صحيفة الحق والمسئولية

حملَ صباح اليوم الثانى والعشرين من شهر فبراير ١٩٢٠ الى قراء اللغة العربية فى مصر والعالم العربى اول عدد من صحيفة « الأخبار » التى أصدرتها شركة الصحافة الوطنية وهى شركة توصية بالأسهم راس مالها عشرة آلاف جنيـــه ، وكان أمين الرافعى الشريك الموصى فيها وكانت الشركة برئاسة فؤاد سلطان بك وكيل بنك مصر فيما بعد . وكان قد اصدر الأخبـــار فى البداية الشيخ يوسف الخازن من كبار الأدباء اللبنانيين ، وعندما عاد الى بلاده تنازل عن رخصـــة الجريدة للاستاذ عبد الحميد حمدى صاحب جريدة « السفور » الذى اصدر الأخبـــار فى أخريات عام ١٩١٨ بالاشتراك مع الأستاذ حسن الشيخه المدرس وقتئذ بمجلس مديرية الغربية ، ثم آل الاسم الى شركة الصحافة الوطنية . وفى أول عدد من الأخبـــار كتب أمين الرافعى عن احتجاب الشعب منذ خمســـة اعـوام كأول مظهر من مظـاهر الاحتجاج الصامت على اعلان الحماية ، ثم تحـدث عن قيـــام البلاد بالمطالبة بحق وادى النيل فى الحرية وعن استئناف جهادها الشريف ، ومما قاله الرافعى : كما كان الجهاد فرضا على كل ابناء الوطن فقد اخذنا على انفسنا ان نستأنف حياتنا الصحفية على ان تكون جميع مجهوداتنا وقفا على خدمة القضية الوطنية.

وفى مجموعة الوثائق الخاصة بثورة سنة ١٩١٩ والتى نشرها وعلق عليها دكتور محمد أنيس اشارات عديدة الى امين الرافعى وجريدة الأخبار : فى التقرير رقم ١٠ الذى كتبه سعد زغلول من باريس بتاريخ ٧ مارس ١٩٢٠ جاء ما يلى : سررنا ان اصدر حضرة أمين بك الرافعى جريدة الأخبار التى نرجو لها التوفيق والنجاح بهمة البك المومأ اليه وحسن درايته الى امل قوى فى ان تؤثر هذه الجريدة فى الجمهور أثرا محمودا وان يقضى بها على الأضاليل التى بثها المهوسون فى العقول والأوهام التى يوسوسون بها فى الصدور وان تكون خيرا للغاية الشريفة التى نسعى اليها (١٨ أبريل ١٩٢٠) ويقول سعد فى خطابه الى عبد الرحمن فهمى . « اذا كنت ترى فى ترتيب حملة خطابية الى جانب الحملة الصحافية فأنت حر فى اختيار الوسائل التى تؤدى الى هذا الغرض وفى هذا المعنى تكتب بالطبع كل جريدة حسب مشربها وارجو ان تكون جريدة الأخبار فى مقدمتها وان تكون هى اول من يقود الراى العام لأنها معتبرة جريدة الوفد المعبرة عن أفكاره وخططه وقلم محررها الفاضل أقدر الأقلام على التعبير عن هذه المقاصد فعليك أن تهز همته وان تبلغه باننا ننتظر من وطنية وحسن تقديره لمنفعة القضية ان يخصص كل يوم مقالة فى هذا الموضوع وليس ذلك على كفاءته بكثير » . وفى الخطاب الذى أرسله سعد زغلول الى عبد الرحمن فهمى بتاريخ ٧ مايو وردت الحاشية التالية : قرات فى جريدة الأخبار جملة يدافع فيها حضرة امين بك الرافعى بقلمه البليغ عن الوفد واعماله ويخطىء الخارجين عليه والناقدين لخطته فارتحت لنفادها لأنها منه الأولى من نوعها وارجو أن يستمر حضرة الكاتب المومأ اليه فيما ابتداه لأنه لا ينبغى ان يسكت عن هذا الموضوع ويترك القلم فيه لغيره ممن لا يعرفون الحقيقة مثله ولا يحكمون الدفاع مثل أحكامه وينبغى ان لا يتركوا الراى العام يطيش مع الطائشين او

بخمد مع الفاترين وان تسلكوا آية الوسط من السبيلين والله ولى التوفيق •

وتنشر الأخبار فى ٢٢ فبراير ١٩٢٠ برقية من سعد زغلول يقول : « الرافعى بك مدير الاخبار بالقاهرة أن مقالاتكم عن خطة الوفد تستوجب موافقتى وهى جديرة بكل انواع المديح فاشكركم : سعد زغلول » • ويقول الرافعى معلقا : والأخبار لا يسعها الا أن تشكر للرئيس الجليل حسن ظنه بها ، وهى لم تكتب ما كتبته الا معبرة عما تعتقده متفقا كل الاتفاق مع شعور الأمة ، واذا كانت قد ايدت خطة الوفد الأخيرة فلا شك أنها لم تفعل سوى أن وضعت نفسها موضع المترجم عن صوت الشعب » •
وكانت الأخبار تصدر فى اربع صفحات خالية من الصور ومن الاعلانات الا فى حالات نادرة ، وفى الصفحتين الثالثة والرابعة كانت الصحيفة تهتم اهتماما خاصا باخبار الوفد ، وتنشرها تحت عنوان التلغرافات الخصوصية ، وكان مقال الرافعى الذى يحمل اسمه ينشر فى الصفحة الثالثة تحت عنوان الحالة السياسية اليوم ، اما المقالات الاخرى التى لم تكن تحمل اسمه فقد كانت تنشر فى اى مكان من الجريدة ، وكانت الأخبار تهتم اهتماما خاصا بأنباء البلدان العربية كما تهتم بابراز وجهات النظر الانجليزية والأمريكية والفرنسية وغيرها نقلا عن صحف تلك البلاد .. وتصف جريدة كوكب الشرق صحيفة الأخبار فتقول : لما تألف الوفد المصرى كان امين بك الرافعى أول من بايع الزعيم الجليل وبقيت جريدة الأخبار لسان حال الوفد الشبيه بالرسمى وبلغت مقطوعية الأخبار اليومية أعظم عدد استطاعت أن تخرجه وتوزعه صحيفة فى مصر وكان مراسلو الصحف الانجليزية فى مصر يتسابقون الى ادارة الأخبار علهم يظفرون بخبر أو تعليق أو رأى من الزعيم الصحفى فى ذلك الحين يبرقونه الى صحفهم •

اهتمت الاخبار بالوفد وأخباره وتتبعت نشــاط رئيســه واحاديثه وركز الرافعى على ان الوفد هو الأمة ، وان المسألة لم تعد مسألة احزاب ، أو شيع وانما هى مسألة امة بأسرها . كما راحت تناقش الأحزاب المعارضة للوفد حسابا عسيرا ، داعيــة الجميع الى الاتحاد فالسبيل الى نجاح القضية المصرية كما يقول الرافعى هو الاحتفاظ بالوحدة ، الاحتفاظ بالأمل ، الاحتفاظ بالمبادىء الوطنية . واهتمت الأخبار ــ أو بمعنى ادق اهتــم الرافعى فى الأخبار ــ بلجنة ملنر ومفاوضهات لجنة ملنر والمشروع الذى قدمته اللجنة ، وراحت تناقشه مناقشة موضوعية وتدعو الشعب الى ابداء رأيه فيه ثم راحت تستكتب الشخصيات البارزة كحسين رشدى وعبد الخالق ثروت وعبد الرحمن الرافعى عن آرائهم فى المشروع ، بأربع مقالات متكاملة تعتبر مرجعا سياسيا ، لهذا المشروع الذى كان له أثره فى تطور الأحداث الســياسية فى مصر ، وتتبعت الأخبار ما تقــوله الصحف البريطانية عن القضية المصرية وراحت تناقش هذه الصحف وترد عليها كمــا راحت تتتبع مناقشات مجلس العموم البريطانى .

ويكتب الرافعى فى الأخبار دراسات وافية عن المفاوضات ينشرها فى كتاب مستقل ، كما يكتب دراســات عن الســـياسة الانجليزية حيال مصر ، ويكتب أيضا عن سياسة التهديد بعــد سياسة الخداع وعن « تقوية الاتحاد » وعن بعثـــة « سوان » التى تكونت من بعض أعضاء البرلمان البريطانى من حزب العمال الذين استضافهم سعد زغلول لزيارة مصر أملا فى أن يتحولوا عن مبدئهم فلم تزدهم الزيارة الا عداوة للقضية المصرية ، وقد فضح الرافعى ، سياسة حزب العمال البريطانى قبل أن تجىء البعثة وفى اثناء وجودها فى مصر كما كتب عن مبدأ الضمانات وخطره على الاستقلال « والى متى تصادر الحـــريات » ، ثم يختلف الرافعى مع الوفد المصرى حول تعديل اساس المفاوضات بين مصر وبريطانيا على النحو الذى سنفصله عند الحديث عن العــلاقة

بين سعد زغلول وامين الرافعي ، ثم تعود المياه الى مجاريها بعد نفي سعد زغلول للمرة الثانية ، ثم يعود الخلاف مرة اخرى ويشتد الخلاف وتعنف الحرب بين الوفد والأخبار ثم تهدأ الحرب وتوشك المياه ان تعود الى مجاريها .

وتقع الاخبار فى ازمة مالية عنيفة يسمع بها سعد فيبادر الى عرض مساعدته على امين الرافعي ، ويرد الرافعي على هذا العرض فى رسالة (سبتمبر ١٩٢٣) يقول فيها : وقع من نفسي احسن واعظم وقع ما علمته من استعداد معاليكم لاقراضي مبلغا كبيرا من المال اعالج به الأزمة التى تجتازها الأخبار الآن على أن اردة عندما تتحسن حالة الجريدة ، وانى لعاجز كل عجز عن اداء واجب الشكر لكم حيال النفسية الكبيرة التى وفقتكم الى ذلك وارجو ان يكون اعترافى بالقصور خير معبر عما تكنه نفسى نحوكم ونحو عملكم النبيل ، ولكن وانا واقف على حالة الأخبار الآن أرى ان هذه الحالة لا تحتمل علاجا فقد دخل المريض دور النزع وحرام اقراضي مالا ليس هناك أمل فى رده . فليقف مجهودى الضعيف عند السهر على هذا المريض حتى يسلم النفس الاخير اذا قضت بذلك مشيئة الله . وفى الختام أكرر لمعاليكم شكرى واعترافى بجميل ما أظهرتموه من جميل العواطف التى لن انساها ما حييت .

وعن قصة ادماج اللواء والأخبار يقول الاستاذ عبد الرحمن الرافعي فى مذكراته المخطوطة والموجودة لدينا « من المسائل التى بذلت فيها جهودا كبيرة وعانيت فيها متاعب شديدة اتحاد الأخبار واللواء واسناد رئاسة تحرير جريدة الحزب الوطنى الى اخى امين ، وانى أعتبر نفسى صاحب الفضل الأكبر فى تحقيق هذا الاتحاد ولولاى لما تم ولقد ساعد فى ذلك كثير من اخوانى اعضاء الحزب الوطنى مثل عبد الحميد بك سعيد وزكى بك على وفؤاد بك حمدى ، وبذلك انقذنا الحزب الوطنى

وجريدته وجريدة الاخبار من خطر الزوال ، فقد كانت حـالة الاخبار المالية سيئة جدا لكثرة ديونها ونفقاتها وقلة ايراداتها .
وكثيرا ما فكرت مع اخى امين فى طريقة لايقافها لا تكون منافية للكرامة وكذلك كانت حالة اللواء المالية ، وكان اعضـاء الحرب يفكرون كذلك فى طريقة للتخلص منها ، ولا شك ان ايقـاف اللواء هو كارثة على الحـزب الوطنى لا يمكنه بعدها أن يرفع راسه ، وايقاف الأخبار كارثة على الصحافة النزيهة وضربة كبرى لمركز امين فى السياسة والصحافة ، فالمركز كان حرجا وقد مكننا بتوفيق الله أن نضم الجريدتين باسم واحـد « اللواء والأخبار » وبذلك استراح امين من عناء المسئوليات الهائلة التى كان ينوء فى ادارة الأخبار ومن جهة أخرى كسب الحـزب الوطنى مكسبا كبيرا باسناد رئاسة تحرير صحيفته الرسمية الى صحافى قدير محترم والحق أن الجريدة الجديدة (اللواء المصرى والأخبار) صارت من أرقى الجرائد مادة وسياسة ، وكانت تصدر فى ست صفحات فكان هذا العمل خدمة كبرى أديتها بمساعـدة الاخوان لأخى ولحزبى ، لكن حالة الجريدة الجديدة المالية كانت سيئة فان مصروفاتها كانت كثيرة وايراداتها قليلة فان القراء لم يقبلوا عليها الاقبال الذى كنا ننتظره والحق ان الحالة المزرية التى وصلت اليها البلاد قد أضرت بالصحافة كثيرا لأن كل قارىء كان يتعصب لجريدة حزبه فلا يقرأ سـواها الا فى الصحف الاخبارية كالأهرام والمقطم ، وبذلك شعرنا بالعجز الكبير فى الايرادات واضطررنا الى الصرف من راس المال الضئيل الذى أمكننا تدبيره للعمل المشترك واستمر العجز فى الثلاثة الأشهر الاولى ، وعادت من جديد فكرة ايقـاف الجريدة الجديدة ، وطرقنا ابوابا كثيرة نستمد منها المدد فالفيناها موصدة وكـان ظهور الجريدتين بالشكل الجديد مظهرا لضعف الحزب الوطنى من الوجهة المالية وارتباك حالته وتزعزع مركزه وهذا الارتباك له تاثير فى حالة الناس المعنوية فان الاحـزاب السـياسية

تستفيد وتخسر تبعا لمظاهرها امام الجمهور . ولكننا لم نتراجع امام هذه الحالة لأننا كنا نفخر بأن حزبنا لا يمد يده الى اى هيئة ليكسب ويثرى ولو كان متساهلا فى مبادئه لاستطاع أن يصل الى الغنى باتفاقه مع الحكومة أو مع أحزابها ، ولكنه فضل ان يحتمل غصاصة الفقر والعوز دفاعا عن مبادئه الوطنية وان الحزب الوطنى يحق له ان يفخر بانه يعيش برجـــاله ومبادئه وانه يعمل غير منتظر اجرا ولا شكورا لأن الحزب الذى يسد على نفســه طريق الحكم فهو حزب بلغ أقصى درجات التضحية وانكار الذات ولقد كان فى استطاعة امين ان يستريح من عنـــاء العمل الصحفى المضنى الذى احتمله بالصبر سنوات عديدة وان يتبدل راحة وغنى ، لو أنه رضى ان يسخر قلمــــه لخدمة حزب من الاحزاب الحكومية ، وقد سعت السراى فى أن تستخدمه وتفصله عن خطته الوطنية وعن الحزب الوطنى ، ولو قبل لتفتحت أمامه أبواب الثروة والجاه ولكن حمدا لله فان هذه المساعى قد اصطدمت بوطنيته وصدق ايمانه وتوكله على الله ، هذا وقد بدأ اندماج اللواء والاخبار فى ١٠ مايو ســنة ١٩٢٥ واســتمر حتى العــدد الصادر فى ٢٢ اغسطس سنة ١٩٢٥ وعاد لكل من الجريدتين الوطنيتين استقلاله عن الأخرى » .

وتستمر الأخبار فى الصدور الى أن يضـــطر الرافعى الى اغلاقها فى فبراير ١٩٢٦ عقب الأزمة النفسية التى صادفته اثر اجتماع المؤتمر الوطنى الذى كان قد دعا اليه لأن المؤتمر لم ياخذ برايه فى عدم اجراء انتخابات جديدة واعتبار مجلس النواب المنحل هو المجلس القانونى الذى يجب أن يستمر فى عمله ثم تعود الاخبار الى الصدور من جديد فى ١٢ مارس ١٩٢٧ .

وليس فى الامكان الاشارة الى كل المقالات التى كتبها الرافعى فى « الاخبار » فهى من الكثرة بحيث يصعب الاشارة حتى الى عناوينها فقد كان الرافعى يكتب باستمرار مقالة كل يوم ، وفى بعض الأيام كان يكتب أكثر من مقالة كذلك كان يكتب دراســات

معتمدة على البحث والجهد الشاق كما كتب مثلا تسع مقالات
عن تقرير ملنر وسبعا وعشرين مقالة عن مفاوضات الانجليز بشأن
المسألة المصرية وكذلك فيما يتعلق بالدستور وتصريح ٢٨ فبراير
وشهر سبتمبر وما جره على البلاد من النكبات ، وقد عارض أمين
الرافعي بالحق كل الوزارات التى توالت على الحكم منذ ١٩٢٥
الى ١٩٢٧ كما ايد بالحق ايضا كل عمل جاد وجيد أقدمت عليه
اية وزارة من تلك الوزارات ، وكمبـــدأ عام كان الرافعي يؤيد
الوزارة عندما تكون فى خـــلاف مع الاحتـــلال البريطاني .
وللرافعي دستور صحفي التزم به دائما وهذا الدستور يتلخص
فيما يلى :

ان كل من له مبدأ يريد أن يذود عنه ومن كان يبغى العمل فى
ميدان النضال والجهاد يحب عليه « يوطن نفسه على تحمـــل
المشاق والمتاعب لأن رجال المبادىء وعشاق النضال لا يجدون
في طريقهم وردا يلقى عليهم وانما يصادفون شوكا ويلاقون عنـاء
وعنتا . ان للحياة طريقين أحدهما تسوده الراحة المادية والآخر
تحفه المكاره والمتاعب ولكن تلك الراحة المادية التى يصادفها من
يختار الطريق الأول لا تكون عادة مصحوبة بالراحة المعنوية فان
من يؤثر الراحة المادية يرى نفسه فى كثير من الأحيان مفرطا فى
واجبه نحو ضميره ونحو وطنه ، ونحو اخوانه ونحو خالقه ، اما
الذى يريد أن يؤدى واجبه نحو ضميره ونحو اخوانه ونحـو
وطنه ونحو خالقه فيجب عليه ان يجد ويشقى ويتعب ويتـــألم
وهو بهذا يفقد فى العادة الراحة المادية ولكنه يستعيض عنهـا
ما هو أغلى قيمة واعز اثرا الا وهى الراحة المعنوية وراحة الضمير
الخالص الذى لا يجد فى هذه الحياة ما يحمل على الوخـــز
والتأنيب وغنى عن البيان أن وخز الضمير أثقل على النفس من
اى الم مادى مهما كان شديدا لأن فى استطاعة الانسان أن يتحمل
الآلام المادية ويعتاد عليها اما تبكيت الضمير فانه يورث المًا لا يمكن
احتماله بل انه ينغص عيش الأبى تنغيصا قد يفضل المرء معـه

الموت على هذه الحياة بجميع ملذاتها ، واذا تركنا هذه المعنويات ونظرنا الى الصحافة من حيث هى فن أو مهنة وجدنا انه بجانب الصحف التى تخصص أكثر اعمدتها لنقل حوادث العالم ولا تعنى بغير ذلك يجب أن تكون هناك صحف تقف أعمدتها لخدمة المبدأ فى ذاته » .

* العقيدة السياسية للمرء تشبه العقيدة الدينيـة فى كثير من الوجوه واهم أوجه الشبه أن صاحب العقيدة الثابتة فى كلتا الحالتين يلاقى صنوف المتاعب فى سـبيل التمسك بعقيـدته والاحتفاظ بها وعدم مخالفة تعاليمها الصحيحة ، كلما ضعف شأن العقيدة فى وسط من الأوساط أو زمن من الأزمان اصـبح موقف أصحاب العقائد الثابتة صعبا وعملهم شاقا واذا كان من الثابت ان القابض على دينه يأتى عليه يوم يكون كالقابض على الجمر فان القابض على عقيدته السياسية لا بد ان يقع فى مثل هذه المحنة أى لا بد أن يصطدم فى طريق جهاده بكثير من العقبات وان تصادفه طائفة من الاهوال والارزاء وأن تنزل به مختلف النكبات والكارثات .. هذا ما ينقشه التاريخ على صفحات كل أصحاب العقائد اذا ما أرادوا ان يثبتوا على عقيدة واحدة دون أن يتحولوا عنها وهم مع ذلك يستعذبون كل عذاب وكل تضحية وكل مشقة وكل هم فى سبيل الاستمساك بعقيدتهم لأن للايمان الثابت لذة لا يشعر بها الا المؤمنون الحقيقيون.. فالمؤمن الثابت العقيدة سواء أكانت عقيدة دينية أم سياسية يرى أن هذه العقيدة مقدسة لا تحتمل تفريطا ولا زعزعة وان له من ضميره اكبر حارس على هذه العقيدة .. فاذا ما وسوس له الشيطان أن يهمل هذه العقيدة على أية صورة من الصور كان صوت الضمير وحده كافيا لأن يقطع على الشيطان وسوسته ويرده مدحورا.. واذا ما تقدم خصوم العقيدة الثابتة بأموالهم الوفيرة وهباتهم العظيمة ووعودهم الخلابة كى يلعبوا بالعقول ويزعزعوا الايمـان وجدوا من يقظة ضمير المؤمن أكبر مخيب لآمالهم لأن هذا الضمير

الخاص الذى لا يخضع للماديات ولا يتأثر بأثرها المفسد لا يلبث
أن يصيح بصاحبه « اياك والانخداع بما يعرضون عليك مهما عظم
شأنه فان جميع كنوز الأرض لا تعدل شرف الانســـان ومتى
استطاع المرء ان يحتفظ بشرفه فكل ما يفقده بعد ذلك لا يقام
له وزن لأن الحياة الشريفة يمكن احتمالها مهما بلغت مرارتهـا
واشتد شقاؤها وفدحت متاعبها ـ اما الحياة المجردة من الشرف
فانها لا تساوى قلامة ظفر ولا يستطيع الانسان اذا كان انسانا
بمعنى الكلمة ان يحياها دقيقة واحدة ولو كانت مصحوبة بأعظم
مظاهر الزخرف والزينة لأن هذه المظاهر المادية تتحطم فى لحظـة
قصيرة وتنقلب مصدر ألم عميق اذا ما تذكر صاحبها أنها لا
ترتكز على دعامة شريفة « ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين
نسارع لهم فى الخيرات بل لا يشعرون » ان هناك عقائد تتزعزع
اذا وجدت فى وسط لا يقدر العقيدة حقها وعندئذ يفشو داء
التقلب والتلون وايثار المصلحة الخاصة على المصلحة العامة ويتسع
المجال لوسائل التهويش والتضليل ومع ذلك فقد علمنا التاريخ
ان هذه الأوساط المسمومة لا تخلو من وجود عقائد لا يأتيهـــا
الضعف من بين يديها ولا من خلفها بل يظل اصحابها محتفظين
بعقائدهم متمسكين بمبدئهم قابضين عليها ولو كالقابض على الجمر
ـ وكم ذهب أمثال هؤلاء ضحية تمسكهم بمبدئهم فكانوا بمثابة
وقود لاشعال واضاءة النهضات الكبرى » .

« قد يرى بعض الناس الاحتفاظ بالعقيدة فى أوقات الشدة
والمحنة امرا حيا فهم لا يعقـــلونه بل يعقلون شيئا آخـــرا هو
الاحتفاظ بمصالحهم الشخصية والحرى وراء الأشخاص لا وراء
المبادىء ولكن هذه الخطة منكرة ممقوتة من جميع الوجوه من اجل
ذلك لم نول وجهنا شطرها بل حفظ الله علينا عقيدتنا ومبدأنا » .

وعندما عادت الأخبار الى الظهور كتب يقول :

احتجبت جريدة الاخبار سنة كاملة لان القائمين بادارتهـــا
ارادوا ان تكون سياستها موافقة للسياسة التى قررها المؤتمر

الوطني الذى انعقد فى فبراير ١٩٢٦ ، فلم اسلم لهم بما ارادوه ولم اكن استطيع ان افعل غير ما فعلت : أولا : لأن السياسة التى قررها المؤتمر كانت مناقضة لأحكام الدستور فضلا عن مخالفتها للسياسة التى كان زعماء المؤتمر قرروا السير عليها واتفقوا ان لا يحيدوا عنها - ثانيا : لأنني كنت مقتنعا كل الاقتناع بصواب الخطة التى كنت اسير عليها فى ادارة سياسة الأخبار وتحريرها فلم يكن من المعقول ولا من الذمة ان اغير هذه الخطة تحت تأثير ارادة الغير لأن قلم الكاتب ليس ملكا لارادة الغير ولا يجوز أن يخضع الا لضمير صاحبه مهما كانت الظروف وقسوتها » .

بين سعد زغلول والرافعى

كانت نظرة امين الرافعى الى سعد زغلول كنظرة غيره من شباب الحزب الوطنى متأثرة بما يكتبه اللواء عن سعد زغلول وما يقوله مصطفى كامل عنه مادحا ، أو ناقدا ، وعندما احتير سعد زغلول المستشار بمحكمة الاستئناف الأهلية وزيرا للمعارف بعد ماساة دنشواى واحراج كرومر ، رحب مصطفى كامل فى اللواء بهذا الاختيار باعتبار أن سعد من احسن العناصر الوطنية ، وعندما انسحب سعد زغلول من لجنة مشروع الجامعة الأهلية وكان نائب رئيس هذه اللجنة أو كان الرئيس الفعلى لها انتقدت القوى الوطنية موقف سعد زغلول هذا واعتبرته محاولة للقضاء على مشروع الجامعة الوطنية وفى صالح مشروع الكتاتيب الذى كانت القوى الاستعمارية تعمل له وتحارب مشروع الجامعة الوطنية من احله وقد عارضت القوى الوطنية سعدا لموقفه فى الجمعية العمومية ومطالبته بالا تكون اللغة العربية لغة التعليم .. وبالرغم من أن الجمعية العموميةعارضت سعدا والحكومة فيما ذهبوا اليه واتخذت قرارا بجعل اللغة العربية لغة التعليم فى مصر الا أن موقف سعد ظل واردا الى فترة طويلة .. وعندما امتدح لورد كرومر فى خطبة الوداع سعدا وهاجم المصريين اعتبرت القوى الوطنية هذا المدح ضد

سعد ومن المقالات التي عارض بها الرافعي سعد زغلول معارضة قوية وعنيفة تلك التي كتبها الرافعي عن موقف الحكومة وسعد بالذات من مشروع مد امتيـاز قناة السويس وعنـدما استقبل سعد زغلول ناظر الحقانية وفدا من المحامين وتحدث اليهم عن اهتمامه بكل ما يتعلق بالمحامين الذين يعدهم جميعا احوانا له ويهمه أمرهم ـ حذرهم من الاشتغال بالسياسة قائلا : لايحسن بالمحامي ان يكون محاميا وسياسـيا ولا يحسن به أن يشـتغل بالسياسة والمحاماة وان الأولى بالمحامين الابتعاد عن السياسـة والتفـرغ لصـناعتهم . وممـا قالـه الرافعي : عجيب امر هؤلاء القوم .. يحرمون على الطالب الاشتغال بالسياسة ويحرمون على الاستاذ الاشتغال بها كما يحرمون على القـاضي الاشتغال بها ، وبالجملة يحرمونها على كل موظف من المـوظفين يظنون الآن ان في استطاعتهم تحريمها على المحـامين ومن باب اولى المهندسين والأطباء فمن الذي يشتغل بها اذا بعد هؤلاء ؟ من الذي ينظر في مصالح بلاده اذا كانت هذه الفئة لا تقوم بهذه المهمة ؟ من الذي يطالب بحقوق وطنه اذا حرم على المدافعين عن الحقوق تأدية هذا الواجب المقدس .

وتطوع الرافعي للدفاع عن سعد زغلول اثناء الضجة التي أعقبت استقالته من الحقانية وذهب الى سعد زغلول يسأله عن استقالته ، وهل قـدمها الى اللورد كتشـنر وليس الى رئيس الوزراء كما يشيع خصومه ، فقال سعد أن الخبر مـكذوب من أساسه فأنا لم أقدم استقالتي الى اللورد كتشـنر ولا أرى له من الصفة ما يخول لي تقديم الاستقالة اليه .

وقال الرافعي : وسرى عني بعد ان سمعت هـذا الجواب وارتحت له أشد الارتياح كما ابتهج له كل من كان موجودا لدى سعادته ، وسألته عن حقيقة ما يقال من انه لم يؤخـذ رأيه في قضية محمد فريد بك فقال حقيقة تقرر السير في هذه الدعوى

بدون أن يؤخذ رايي ، ولقد كان ذلك من الأسـباب التي عجلت استقالتي .

ورشح سـعد زغلول نفسه لعضـوية الجمعية التشريعية فوضع الرافعي نفسه وجريدته في خدمة المعركة الانتخابية التي خاضها سعد ، ونشر حـديثا اجراه مع سـعد زغلول في شان ترشيحه للجمعية التشريعية عن قسمي السيدة والوايلي ، وقد طلب الرافعي من سعد أن يستحدث وسائل جديدة في الدعاية لنفسه بين الناخبين ففي ايطاليا ـ هكذا قال الرافعي ـ لما فتح حق الانتخاب العام للايطاليين ومنهم اميـون فكر المرشحـون في ايقاف هؤلاء الناخبين على مبادئهم بطريقة غير الكتابة فاخـذوا يلصقون عـلى الجـدران صـورا يرسمون فيها وجوههم بجـانب اسمائهم تارة ضاحكة وتارة مطـرقة دلالة على التفـكير ، كما اتخذوا السينما وسيلة للدعاية لأنفسهم اذ بهذه الطريقة تعرض صور المـرشح قائما خطيبا بين جمـاعة من المتحمسين يشرح لهم آراءه .

وفي أكثر من مقال دعا الرافعي الى انتخاب سـعد لكفاءته القانونية ومقدرته الخطابية ومعلوماته الواسعة . وقد كان موقف الرافعي من تأييد سعد متسقا مع موقف الحزب الوطني ، الذي وقف بدوره الى جانب سـعد في الانتخـابات . ومما جاء في مذكرات محمد فريد حـول استقالة سـعد من وزارة الحقانية وترشيحه لانتخابات الجمعية التشريعية ما يلي : ساعـد محمد سعيد الخديو عـلى اكراه سعـد على الاستقـالة لأنه يخشى منـه المزاحمة على مركز الرياسـة وكان قد اشـيع أن حماه مصطفى باشا يسعى لدى أصـدقائه الانجليز لتعيين سـعد رئيسا وقد تمكن سعيد من احـراجه ليبقى بلا مزاحم لأن النظار الحاليين ليس فيهم من يقوى على مزاحمته لدهائه وخبثه لذلك يغلب على الظن أن سـعيد يعاكس سـعد باشـا في الانتخابات للجمعية التشريعية لأنه يخشى أن يجمع حوله اغلبية تناقشه الحسـاب

وتجادله خصوصا أن جريدة الشعب لسان الحزب الوطني تعضد سعد - على اني اعتقد انه سيفوز برغم مساعى سعيد » .

وكتب محمد فريد - في مكان آخر من المذكرات : أما انتخاب سعد باشا فيغيظ الخديو ومما يزيده غيظا أن الحزب الوطني عضده وساعده بقوته .. وكتب عبد الملك حمزة الى محمد فريد عن ترشيح سعد فقال : لم نرشح سعد باشا الا بعد أن عاهدنا على أن يكون معنا قلبا وقالبا واذا وفقنا الى الفوز ان شاء الله نجدد ذلك العهد . ويجيبه محمد فريد في ٢٥ نوفمبر فيقول : انما يلزم لذلك أن يعلن انضمامه للحزب بعد أن تتأكدوا من اخلاصه وأن قصده لم يكن الاستعانة بنا للوصول الى الوزارة ثم ينقلب كما فعل سعيد باشا ويجب الاحتراس الكافى من هؤلاء الناس الذين يسيرون مع الحوادث . انى أعرف سعد منذ نحو عشرين سنة وكنت معه بأوربا ولا أشك في وطنيته ولكن أعرف من جهة أخرى انه يكره الخديو وربما تؤديه هذه الكراهية للاتفاق مع الانجليز للانتقام منه فاحترسوا جيدا وخذوا منه المواثيق كتابة حتى يخشى التحول » .

وعقب الرافعى على نجاح سعد فى الانتخابات بقوله :واذا كنا أظهرنا ميلنا لترشيح سعد باشا ودعونا الناس لانتخابه فما ذلك الا لأنه وعدنا في الخطة التى عاهد الأمة عليها أن يسلك سبيلا رأينا فيه تحقيق هذه الفكرة التى لابد من وجودها ووجود انصار كثيرين لها حتى تستطيع مصر أن تخطو الى الامام » .

وخاض الرافعى الى جانب سعد زغلول معركة وكالة الجمعية التشريعية عند غياب الرئيس وهل تكون للوكيل المعين عدلى يكن باشا أم للوكيل المنتخب سعد باشا ووقف الرافعى في هذه المعركة موقفا صلبا للغاية وكان يطلق على سعد باشا أبو الأحرار وعلى النواب الذين وقفوا الى جانبه النواب الاحرار وظل الرافعى الى أن توقفت جلسات الجمعية التشريعية بعد

اعلان الاحكام العرفية يتابع باستمرار فى غير تبعية اعمال سعد باشا ونشاطه ثم انقطعت العلاقة بينهما خلال الحرب العالمية الاولى وخاصة بعد اعتقال امين الرافعى وشقيقه عبد الرحمن الرافعى ورفض سعد كما جاء فى مذكراته التحدث بشأن الافراج عن امين وعبد الرحمن مع رشدى باشا رئيس الوزراء وكانت لسعد علاقة وثيقة به ، غير ان العلاقة بين سعد وامين قد عادت الى القوة منذ سنة ١٩١٨ فى مخلفات امين دعوات كثيرة من سعد زغلول وبخطه الى أمين الرافعى لتناول الغداء أو العشاء وللتحدث فى بعض الأمور الجارية ، وعندما بدأ تكوين الوفد المصرى الفى امين الرافعى بكل ثقله فى جانب سعد زغلول واختلف مع كثير من رفاقه اعضاء الحزب الوطنى حول تأييده لسعد ، وكانت وجهة نظر الرافعى أن سعدا هو اقرب الناس الى الشعب وهو أكثر الزعماء الموجودين كفاية وقدرة على الاضطلاع باعباء رئاسة الوفد ، وامين الرافعى عنيف وعنيد ، عندما يرى رأيا من الآراء يبذل كل طاقته وامكانياته فى الدفاع عن هذا الرأى مهما يكلفه ذلك من تضحيات جسام ، وقد سبق أن اشرنا الى دور الرافعى فى تشكيل الوفد وفى مناصرة سعد زغلول بالذات ، كما سبق أن اشرنا الى علاقة سعد زغلول سواء أكان فى المنفى ام فى باريس بامين الرافعى . واذا كان عبد الرحمن فهمى هو المسئول اداريا عن نشاط الوفد فى أثناء غياب سعد ورفاقه فى المنفى وباريس ولندن ، فان أمين الرافعى كان المسئول الفكرى والاعلامى عن الثورة فى المرحلة الاولى من قيامها ، فكان يتولى صياغة بيانات الوفد ويتلقى تعليمات سعد زغلول السرية ، وقد أصدر الرافعى جريدة الاخبار — كما سبق أن ذكرنا وكانت أداة التعبير الصادق عن آراء الوفد ورئيسه ، وما أكثر التلغرافات التى كانت تصل الى امين الرافعى من سعد زغلول فى بعض المسائل الهامة المتعلقة باستراتيجية الوفد وتكتيكاته التى لم يكن يعرفها من أعضاء الوفد سوى مصطفى النحاس وحده الذى

كان بدوره وبتعليمات من سعد يرسل الى امين الرافعي الخطوط الرئيسية لسياسة رئيس الوفد المصرى وقد ادى التصاق امين الرافعي بسعد زغلول ورفاقه ودفاعه عنه الى هجوم الكثيرين على امين الرافعي ومن بينهم بعض زملائه فى الحزب الوطنى ، وكانت صحيفة « الأهالى » اشد الصحف هجوما علـى أمين الرافعي بسبب صلته الوثيقة بسعد زغلول .

ولكن الخلاف وقع بين امين الرافعي وسـعد زغلول لأن الوفد كان يرى عدم الدخول فى مفاوضة رسمية مـع بريطانيا دون النظر الى مطالب الشعب التى ابداها فى صورة تحفظات على مشروع ملنر ، ثم رأى العدول عن رايه هذا فعارضه أمين الرافعي وأصر على تعديل أساس المفاوضات قبل الدخول فيها ، وطالب باعتراف بريطانيا أساسا بالحقوق الرئيسـية للبلاد فى الحرية والاستقلال ، وقد حاول سعد زغلول مرارا اقناع أمين الرافعي برايه فلم يقتنع . ثم حاول سـعد اقناع أمين الرافعي بعدم اثارة موضوع تعديل الأساس الخاص بالمفاوضات فلم يقتنع

وعندما انطلقت المظاهرات الدامية ضد الرافعي لم يتراجع،بل كتب فى ١٩٢١/٤/٢٦ ان تلك المظاهرات الأرهابية تقنعنا فـوق اقتناعنا الماضى بأن الالتجاء الى القوة لتحولنا عن خطتنـا ليس له معنى الا أن هذه الخطة سليمة وأن الحق فى جانبنا ، ولذلك لم يستطع احد ان يصرعها فاستخـدم القوة لصرعها ، علـى ان الله كان ولا يزال ساهرا علينا فلم يلحقنا اى اذى وخرجنا من هذا النضال وقد ازداد موقفنا قوة وثباتا فقد شعر المفكرون أن حرية الراى اذا صودرت بهذه الوسائل المخزية فان هذه المصادرة تكون سببا فى ضياع مستقبل البلاد واساءة سمعتنا الوطنية فى نظر العالم ومحو صفحتنا البيضاء التى لا نزال نفخر بهـا أمام الجميع » .

وقال امين الرافعي فى ٢٣-٦-٢١ : كانت الاخبار ومدبرها فى نظر معالى سعد باشا مثالا للوطنية الصـادقة وكان الرئيس

يتفضل من وقت لآخر باعلان ذلك وامتداح خدمات هذه الجريدة في تلغرافاته التي يبعث بها الينا وفي كتبه الخاصة وفي تصريحاته المتعددة فما باله اليوم قد انتهج حيالها منهاجا آخر وما زال يتنقل من دور الى دور حتى اراد بالأمس ان ينال من وطنيتنا وهي كل ما نملك في هذه الحياة بل هي الشيء الذي يعتقد سعد باشا أنها فوق منال الشكوك .. لئن كان سعد باشا يرى ان يعامل من يظن انهم خصومه السياسيون بمثل هذا السلاح مستفيدا من المركز الذي أولته الامة اياه فليعلم انه سلاح خطر لا يملك دائما ان يكون في قبضته فيمنح الوطنية من يشاء وينزعها ممن يشاء وليتق الله الذي يعرف ما في الضمائر وليخش حسابه يوم لا ينفع مال ولا بنون ولا انصار ولا هتاف ولا مظاهرات .. ليخش الرئيس قصاص الله العادل فان الدهر لا يبقى على حال والعزة والعظمة للخالق وحده وكل نعمة لا يرعاها صاحبها لا تلبث أن تزول » .

ثم يقول : اننا لم نألف ان نكون وزاريين ولم نعتد خدمة الهيئات والأشخاص وانما اعتدنا أن نخدم المبادىء وحدها .. ونعمل مع الجانب الذي يقدس هذه المبادىء ، وقد كنا نرى في الوفد رمزا لخدمة المبادىء فتطوعت لتأييده ، وقد اتهمنا ردحاً من الزمن باننا وفديون ننفق على الجريدة من أموال الوفد واننا مضطرون لهذا السبب الى ان نسير وراء الوفد فيما سار ،وقد كنتم تعلمون كذب هذه الاتهامات كما كنتم تعلمون اننا مستقلون في عملنا ولا نرضى بأن نكون ذيلا لأية هيئة مهما عظم شأنها ، ولا نظنكم تنسون انكم فكرتم في الأيام الأولى لتاليف الوفد في ان يصدر الوفد جريدة تكون لسانه الرسمي على أن تسند رئاسة التحرير الينا فأبينا قبول هذه الفكرة وقلنا لكم باننا لانريد ان نعمل الا مستقلين بعيدين عن سيطرة اى مخلوق الا سيطرة ضميرنا . لقد اتهمنا من اجل الوفد بتهم عديدة ولكن الله أبى الا ان يزهق الباطل وظهر الحق وعلم خصومنا ومتهمونا

اننا لا نكتب شيئا بايحاء أحد أو لمراعاة خاطر عظيم وانما نكتب ما يوحيه الينا الوجدان وحده • اتهمنا من اجل الوفد واوذينا بسبب تأيدكم ودعوة الأمة الى الالتفاف حولكم فلم نعر هذه التهم اهمية لأنها صدرت من أفراد لا يعرفوننا ، ولكننا ما كنا نتوقع وما كان يدور بخلدنا أنكم تنسون كل هذا الماضي وتتولون وظيفة الاتهام الفظيعة انتم الذين تعرفون دخائل نفوسنا وحقائق ضميرنا ومبلغ ماضحينا من أجل القضية ومن اجلكم » •

ويقول أمين الرافعي : اننا لم نألف في اى دور من ادوار حياتنا أن تكون وزاريين وقد كنتم من أركان الوزارات الماضية فلم نسع في التقرب لكم بل عرفناكم بعد أن تركتم الوزارة •• كنتم ركنا من أركان الوزارات السابقة فلم نقصر في نقدكم على كل عمل من الاعمال التى تستوجب النقد •• لم نقصر في نقدكم يوم وافقتم على مشروع القناة ، لم نقصر في نقدكم يوم أعدتم قانون المطبوعات ونشرتموه •• لم نقصر في نقدكم يوم وضعتم القوانين الاستثنائية المتعددة ونفذتموها بالرغم من معارضة مجلس الشورى ومنها قانون الاتفاقات الجنائية الذى يعاقب على الفكر وقانون احالة جنح الصحافة على محكمة الجنايات الذى يجعل مركز الصحفي اسوأ من مركز القاتل وقاطع الطريق •• لم نقصر في نقدكم يوم صرحتم في مدرسة الحقوق بأن قضاتنا هم قضاة ضرورة •• لم نقصر في نقدكم يوم كنتم تسنون للطلبة قوانين قاسية صارمة الى غير ذلك من التصرفات ، وان صفحات اللواء والعلم والشعب خير كلمة بيننا وبينكم وهى تشت اننا لم نخلق لنكون وزاريين بل خلقنا لندافع عن المبدأ الذى نعتقد في صحته ولو تحملنا من جراء ذلك مانتحمل من ايذاء وتضحيات • خلقنا لنكون احرارا • تقول الحق صراحة وفي وجه اية قوة من قوى العالم ولو كان الموت واقفا لنا بالمرصاد • فراجع يا معالى الرئيس ضميرك قبل أن تتهم الابرياء ولا تنس ان الله مطلع على كل صغيرة وكبيرة وهو المنتقم الجبار »

ويقول الرافعى فى مكان اخر حول هذا الموضوع أيضا : كان جنود سعد باشا يهاجموننا فى دارنا ويقذفوننا بالطوب ويوجهون الينا فاحش القول ويتهموننا بالخيانة ، وعندما كنا ننادى بضرورة عقد جمعية وطنية تفصل فى الخلاف كانوا يهزأون بهذا الرأى حتى كتب بعضهم يومئذ مقالا طويلا يذهب فيه الى انه يجب علينا ان نكف عن الاشتغال بالصحافة ونبحث عن عمل اخر » . ويصف الرافعى كيف ذهب فريق من العقلاء الى سعد باشا يصفون هذه الحالة السيئة التى وصلت اليها المظاهرات الدامية ويطلبون منه وضع حد لها فكان يجيبهم بغير تردد : « أتريدون ان ادافع عن خصومى » وانه كان يقول لانصاره فى أعقاب هذه الحوادث ، « عضدوا رأيى بكل قواكم » .

وعن محاولات الصلح التى قام بها البعض روى الاستاذ حامد القصبى القصة التالية : فى يوم ٢٥ ابريل سنة ١٩٢١ عندما تجمعت حشود الطلبة حول دار جريدة الاخبار التى تقوم فى مكانها الان المدرسة اليونانية بشارعى التحرير ويوسف الجندى وتولى فريق منهم الحراسة الخارجية وأسرع غيرهم الى قطع الاتصال التليفونى بالدار واقتحم بأقيهم — فى جموع زاخرة — حجرة مكتب صاحبها الوطنى الغيور الاستاذ امين الرافعى يهددونه بالقتل اذا لم يكف عن الاسترسال فى نشر رأى له عن تعديل أساس المفاوضات بين مصر وانجلترا حول قضية جلاء المحتلين واستقلال البلاد التام ، كانت بريطانيا قد وضعت وقتئذ مشروعا لحل القضية المصرية اسمته مشروع ملنر ، ذهبت به فى اغسطس من عام ١٩٢٠ الى الوفد المصرى بزعامة سعد فى أثناء اقامته فى باريس واشترطت قبوله كله او رفضه كله كأساس لمفاوضة رسمية ، ولما اختلفت الاراء فى شأن هذا العرض اوفد الوفد المصرى الى مصر فى سبتمبر عام ١٩٢٠ بعض اعضائه لاستفتاء الأمة فيه فعادوا اليه مزودين بمجموعة من التحفظات الجوهرية التى توضحه وتحدده وتحول دون تسرب الخداع

والتضليل فى ثناياه ، وبمجرد ان اقر الوفد المصرى تلك التحفظات واعلن تمسكه بها شرع المرحوم أمين الرافعى ينادى بتعديل اساس المباحثات بمراعاة هذه التحفظات قبل الشروع فى اية مفاوضة رسمية ، وكان طلاب العلم على اختلاف معاهدهم وتفاوت سنهم جنودا اوفياء للوفد وكنت اذ ذاك طالبا بالسنة الثانية بمدرسة المهندسخانة ولم تفتنى المساهمة فيما جل او هان من امور كانت تعتبر من اقدس واجبات الطلاب فى ذلك الحين ولكن محاولة الاعتداء على الاستاذ امين الرافعى وهذه دعوته وتلك رسالته ، لم تعجبهم فلم أطق صبرا عليها فبعثت فى ٢٥ مايو سنة ١٩٢١ بكتاب الى المغفور له الزعيم الخالد الذكر سعد ، كاشفته فيه ـ كجندى من جنوده ـ بالمرارة التى شعرت بها للطريقة التى قوبل بها الرجل الذى كان ينطق بلسان الوفد الى عهد قريب ، حتى فيما اختلف واياه فى الوقت الحاضر من ناحية تعديل الاساس ورجوت من الزعيم فى اخلاص وحرارة ان يكف الأذى عن المجاهد الكريم ويعمل على استرجاعه الى حظيرة الوفد لانه قوة مؤمنة نابغة وبخاصة ان ما كان مختلفا عليه من حيث اشتراك الوفد فى هيئة المفاوضات الرسمية قد حسم بتشكيل تلك الهيئة من فريق الحكومة وحدها ، وبعد ثلاثة ايام استدعانى المغفور له عاطف بركات باشا عن طريق احد زملائى الذين كانوا يترددون على بيت الامة فادركت سبب الدعوة وقصدت فى عصر ذلك اليوم ـ وكنا فى شهر رمضان ـ الى دار جريدة الاخبار حيث لم أجد الا المغفور له الاستاذ أمين الرافعى قائما يصلى ومعه شقيقه الاستاذ عبد الرحمن الرافعى ـ اطلعتهما على صورة خطابى للزعيم سعد وانهيت اليهما نبأ الدعوة التى تلقيتها واستوضحت الراى فيما يحتمل ان يدور بينى وبين عاطف بركات باشا فما كان من الاستاذ أمين الرافعى الا ان ابتسم وترك لى حرية التصرف ، اما شقيقه الاستاذ عبد الرحمن الرافعى فقد حبذ تلبيتها مؤكدا انها ستكشف له فى

القليل عما يوجهه رجال الوفد الى الاستاذ أمين الرافعى مما أعرف بحكم صلتى به ، وكتابتى فى صحيفته انه براء منه . وبعد غروب ذلك اليوم بقليل وقبل ان يزخر بيت الأمة برواده كنت أمام عاطف بركات باشا فى حجرة مكتبة الزعيم العظيم سعد ، فذكرنى انه ـ وهو يقلب النظر فى بريد الرئيس ـ اطلع على خطابى اليه فرأى ان يحدثنى فى موضوعه فليس أحب الى الوفد من استئناف التعاون فى العمل من أجل الوطن مع الاستاذ أمين الرافعى وان كانوا قد سعوا اليه من طريق المرحومين محمد سعيد باشا وفتح الله بركات باشا ولكنه كان كالحصان الجامح يعض على اللجام فلا يستطيع احد كبح جماحه على ان هذا لا يمنع من أن أجرب وساطتى • وقد يضيع الله سره فى أضعف خلقه . وعندما تساءلت عما اذا كان هذا هو رأى الزعيم سعد، اجابنى عاطف باشا بأنه يعرض حلا سيكون هو المسئول عن تنفيذه واضاف قوله ان الوفد اذ يرحب بعودة الاستاذ أمين الرافعى الى مكانه الاول منه فانه يشترط ان تكون تلك العودة قلبا وقالبا ، والا يحاول ان يملى على الوفد خطته . وادرنا الحديث بعد ذلك فى مواضيع شتى متصلة بالخلاف ثم استأذنت فى الانصراف لمقابلة الاستاذ امين الرافعى على أن أعود الى بيت الامة فى المساء نفسه لموافاة عاطف باشا بنتيجة المساعى ، وقصدت الى دار الاخبار وقابلت صاحبها وأبرزت ترحيب الوفد باستعادة نشاط صاحب الاخبار ولم أمس شروط العودة ،واذا بالرجل يجيب فى اصرار بأنه عول على الا ينتمى الى أى حزب أو جماعة وانه سيظل ما بقى حيا يعمل بوحى ضميره غير ناظر الى من يرضى او يغضب . ولما ذكرته انه صاحب رأى يعنيه ان ينتشر وان مجانبته للاغلبية ستحجب رأيه عن الكثرة ، قال ساكتب طالما اشعر ان هناك فردا واحدا فى الأمة يقرأ لى . واستطرد امين الرافعى يقول : لعلك لا تعرف اننى الوحيد فى هذا البلد الذى احتج عمليا على بسط الحماية البريطانية على مصر اذ اغلقت

جريدة الشعب وطويتها عن الناس مما حدا بالسلطان حسين كامل ان يستدعيني ليمهمني ان توقف جريدتي عن الظهور في هذا الظرف يعتبر طعنا في وطنيته ، وعندما انصرفت من حضرته قابلني كبير الامناء وحاول ان يضع في جيبي خمسة الاف جنيه بحجة ان حجب الجريده يرجع الى نضوب مواردي المالية فابيت عليه واستمسكت بالرفض في عناد شديد ولم يكن في جيبي اذ ذاك الا عشرة قروش وكان عطف أخي عبد الرحمن هو وحده سندي وعليه بعد الله معتمدي وقد ترتب على موقفي هذا ان خرجت في ذلك اليوم من سراي عابدين لأدخل ضيفا على المعتقل لأشهر عديدة ، مليئة بالاضطهاد والتعذيب والتنكيل ، افتظن ان من كانت هذه حالته يمكن ان يفيد قلمه ورايه بقيود جماعة او هيئة .. وعدت الى بيت الأمة في المساء المتأخر وهمست في اذن عاطف باشا قائلا : ابعدوا الطلبة عن أمين الرافعي وكفوا عن العدوان والزمن كفيل بأن يقرب ما بينه وبين الوفد فقال : واذا سألك سائل عمن كان سببا في اخماق سعيك فهل تقول انه الوفد أو امين الرافعي ؟ فقلت امين الرافعي كانسان من حقه ان يغضب لاستباحة دمه فلا أقل من أن تستعين عليه بالزمن في ظل جو هادىء . قال : الى هذه اللحظة كنت احسبك محايدا فاذا بي اراك متحيزا . قلت افيمكن أن يكون الساعي الى الوفاق الا محايدا أصدق الحياد .

وعندما قطعت المفاوضات بين مصر وبريطانيا كتب الرافعي في ١٩٢١/١١/٢١ يقول : لقد كنا خصوم الوفد الرسمي لانه قبل مبدا المفاوضة على غير الاساس الصالح لتحقيق مطالبنا ، فلما ازمع السفر جددنا معارضتنا له في خطته ثم انتظرنا نتيجة سعيه لنحكم على عمله . واكد الرافعي انه لم يتسرع في الهجوم على أعضاء الوفد المصري كما فعل آخرون بل آثر الانتظار حتى ظهرت الحقيقة : ولعل في هذا ما يحمل الطاعنين في ضمائر الناس المتسرعين في اتهام مخالفيهم على أن يخففوا من غلوائهم

ويقلعوا عن امثال هذه الخصومات الشخصية الضـــارة ، وان تكون خصومتهم شريفة رائدها حسن النية ومقصورة على المبدأ وحده لان الخصومة القائمة على الكذب والتضليل تكون مجردة من الشرف وخليقة بالازدراء ودليلا على ان صاحبها لا يحمل بين جنبيه ضميرا يبغى حسابه ..

وينفى سعد زغلول للمرة الثانية وينسى الرافعى كل مـا كان بينه وبين سعد زغلول من خصومة ويجند نفسه للدفـاع عن سعد زغلول وضرورة تمتعه بالحرية . ويسمع ان سعدا مريض ، فيكتب مقالات عديدة مطالبا بالافراج عنه والاهتمام الخاص بصحته .

وتجرى الانتخابات ويفوز سعد بالاغلبية الساحقة فى هذه الانتخابات وفور ظهور النتيجة طالب الرافعى يحيى ابراهيـم باشا رئيس الوزارة ، الذى سقط فى الانتخابات هـــو وبعض وزرائه بالاستقالة لتجىء وزارة حزب الاغلبية ويكتب الرافعى كثيرا عن أحلامه وآماله فى تلك الوزارة ثم يصدم بخطاب ال.

على ان الجدير بالذكر ان الخصـــومة بين سعد زغلول وأمين الرافعى التى قامت اثر هجوم امين على خطبـــة العرش الاولى التى كانت باسم الوزارة السعدية ، قد ظلت قائمة الى ان لقى سعد زغلول ربه فى ٢٣ أغسطس ١٩٢٧ اى قبل وفاة الرافعى بأربعة اشهر تقريبا ، وهناك حقائق لابد من تسـجيلها لتحديد العلاقة ما بين امين الرافعى وسعد زغلول : أولا ــ ان الرافعى عندما كان يقف الى جانب سعد زغلول كان يؤمـــن بان الصالح العام يقتضى الوقوف الى جانبه ، وعندما كان يعارضه بشـدة وعنف لم يكن ذلك لمصلحة شخصية بل كان يستهدف الصـــالح العام ايضا .

ثانيا ــ أن امين الرافعى انفرد دون غيره من ابناء الحزب الوطنى بالثقة فى سعد زغلول . وثـــق به يوم ان رشح نفســه

لانتخابات الجمعية التشريعية وشجعه بالرغم من ان محمد فريد كان يريد ان يأخذ على سعد المواثيق بأن يعلن عن انتمائه للحزب الوطنى بعد فوزه ، ووثق به أثناء تكوين الوفد المصرى وايده بينما كانت الغالبية من أعضاء الحزب الوطنى تعارض سعدا معارضة عنيفة . ودافع عنه أيضا وهو فى المنفى ولم يكن الرافعى فى ذلك كله ساذجا ولكنه كان يرى أن الطريق الذى سار فيه هو أصوب الطرق .

ثالثا ــ عندما اختلف امين الرافعى مع سعد زغلول لم يشأ الرافعى ان يستغل ما لديه من تلفرافات وخطابات ووثائق كانت تحت يده بوصفه سكرتيرا مساعدا للجنة الوفد المركزية ولم يسمح امين الرافعى لاحد باستغلال هذه الوثائق لاضعاف مركز الوفد ومركز سعد بالذات وكانت حجة أمين فى ذلك ان الخصومة فى الرأى مهما عنفت واشتدت لا يمكن ان تصل الى حد افشاء الاسرار التى اوئتمن عليها احد الافراد فى وقت من الاوقات وكان كل ما يفعله الرافعى ان ينشر فقط رسائل المديح والاطراء التى كان يرسلها اليه سعد من الخارج .

رابعا ــ كان سعد زغلول يخشى أمين الرافعى وكان يعرف ان لديه الكثير من الحجج المقنعة وان خصوم سعد بل انصاره يثقون فى رجاحة راى الرافعى ونبل مقاصده ولذلك كان سعد زغلول يحاول باستمرار ان يستميل اليه الرافعى ».

منقذ الدستور

كان الرافعى بطبعه وثقافته وميوله يؤمن بالشعب وحكم الشعب ويرى فى الحياه النيابيه خير علاج لما تعانيه الشعوب المستعبدة من كوارث ونكبات ومنذ ان حمل القلم وهو ينادى بضرورة تحقيق الحكم النيابى وعندما دعا الحزب الوطنى بقيادة محمد فريد الى توقيع عرائض المطالبة بالدستور اشترك الرافعى فى هذه الحملة كصحفى وسياسى وعندما صرحت الوزارة فى ٨ فبراير ١٩٠٨ فى الجمعية العمومية بان الوقت لم يحن بعد لحصول البلاد على مجلس نواب بادر الرافعى الى مهاجمة الحكومة مؤكدا « ان شعب مصر أرقى بكثير من الشعوب التى حصلت على الدستور فى أوربا » — ولم يترك الرافعى اية فرصة دون الاشادة بأهمية الحصول على الدستور ورغم ضعف اختصاصات الجمعية العمومية ومجلس شورى القوانين الا ان الرافعى كان يهتم بهما ، ويولى جلساتهما أهمية خاصة .

وعندما بدأت جلسات الجمعية التشريعية ، راح الرافعى كأى محرر برلمانى نشيط يتابع جلسات الجمعية التشريعية ويعقب على المناقشات التى تجرى فى هذه الجلسات واقترح الرافعى انشاء معارضة داخل الجمعية التشريعية ورشح

سعد زغلول لزعامة هذه المعارضة وعندما قامت الحكومة بتعيين بعض اعضاء الجمعية التشريعية ـ كما ينص قانون انشاء هذه الجمعيه ـ لم يشأ الرافعى ان يقف موقف العـداء من هـؤلاء الأعضاء لأن الحكومة ـ وهى خاضعة للنفوذ الاستعمارى ـ قـد عينتهم بل راح يبدى اهتماما خاصا بهم ويعلن ان الشعب يعلق عليهم آمالا كبيـرة .

ويستمر الرافعى فى الاهتمام بأعمال الجمعيـة التشريعية وبهتم الاعضاء بما ينشره الرافعى من مقالات ويعرض سـعد زغلول بوصفه وكيلا منتخبا للجمعيه على أمـين الرافعى وظيفة سكرتير الجمعية بمرتب مغـر فيأبى الرافعى ذلك مؤكدا أن مجاله ليس تقلد الوظائف الحكوميه وانما فى العمـل الصحفى المتحرر ، وعندما اكفهر الجو الدولى فى منتصف ١٩١٤ وصدر الامر العالى فى ١٨ أكتوبر ١٩١٤ بتأجيل انعقاد الجمعية الى اول يناير ١٩١٥ قال الرافعى : « ان الظروف الراهنة لا تسـتدعى تأجيل جلسات الجمعية بل بالعـكس فان هذه الظروف تؤكد ضرورة دعوة الجمعية التشريعية للانعقاد » وبعد انتهاء الحـرب العالمية الاولى وقيام ثورة ١٩١٩ وبداية الخـلاف بـين سعد وعدلى دعا الرافعى الى عقد جمعية وطنية لتبدى رأيها فى هـذا الخلاف باعتبار ان الشعب هو مصدر كل سلطة وهـو وحده المرجع الاول والأخير فى كل ما يتعلق بشئون السياسة ، ويكرر الرافعى دعوته الى انتخاب جمعية وطنية لبحث اى اتفاق يمكن أن تصل اليه مصر وبريطانيا .

وعندما شرعت وزارة ثروت باشا فى اعداد دستور للبلاد سل الرافعى قلمه دفاعا عن حق الشعب فى وضـع دستوره ، وعاب على الحكومة التجاءها الى الوسيلة العتيقـة التى تجعل وضع الدستور من مهمة لجنة حكومية ، وقال ان الشعب فى عام ١٨٨٢ هو الذى قام بوضع الدستور ولا يمكن ان يعود الشعب

الى الوراء اربعين عاما . وطالب بانتخاب جمعية وطنية تتولى وضع الدستور باعتبارها منتخبة من الشعب ، وكتب الرافعي مقالات عديدة عن « كيف تضع الامم دساتيرها » وتتبع اعمال لجنة الدستور ، وناقش المبادىء العامة التى وضعتها وكتب سلسلة من المقالات عن المبادىء العامة التى ارتأت اللجنة الأخذ بها ـ كما كتب سلسلة مقالات اخرى عن مشروع لجنة الدستور وكتب سلسلة مقالات عن الدستور ذاته بعد صدوره .

وتعتبر مقالات الرافعى عن الدستور من اروع المقالات التى كتبت عن حق الشعب فى حكم نفسه بنفسه . وتصلح هذه المقالات ان تكون وحدها كتابا قائما بذاته . ومما يجدر بنا ان نذكره أن سعد زغلول كان يحتفى بهذه المقالات ، وكان يعتبرها خير معبر عن آرائه . قال سعد زغلول فى الحفلة التى اقامها له الطلاب « تسألوننى عن رأيى فى الدستور واقول لكم انى قرأت كل ما كتبه امين الرافعى فى نقده وكأنه يستلهمني ما كتب ! »

وكتب سعد زغلول خطابا الى طاهر اللوزى يقول فيه : « وعدتكم بابداء ملاحظاتي على الدستور ، وهى بالاجمال انه انشأ للبلاد حكومة مطلقة فى الظاهر ومقيدة فى الحقيقة . وفتح للانجليز بابا واسعا للدخول منه فى شئون البلاد وادارتها بما يعوق تقدمها ونجاحها من غير ان يتعرضوا للمسئولية ، اذا ارادت البلاد تقييد هذه السلطة بما يمنع هذا التدخل لم يمكنها ذلك الا بتعديل الدستور وتعديله لا يتأتى الا باجماع شروط صعبة الاجتماع واهمها موافقة الملك ، وقد فصل ذلك أمين بك الرافعى فى ملاحظاته على الدستور وقد قرأت منها لغاية الملاحظة ١٢ فاستحسنتها كل الاستحسان » .

ويرد الرافعى على هذا الخطاب بقوله : « اطلعت اليوم على خطاب معاليكم لصديقى طاهر اللوزى الذى اشرتم فيه الى نقد الاخبار للدستور واستحسانكم لهذا النقد ، وانى مغتبط كل

الاغتباط لتقديركم لهذه المقالات وموافقتكم على ما تضـمنته من الاراء » .

ويتولى الرافعى باستمرار الدفاع عن الدستور عند كل أزمة يتعرض لها وعند ما قام زيور باشا بحـــل مجلس النواب مرتين لسبب واحد ابتكر أمين الرافعى فكره عقد مجلس النواب بحكم القانون فى السبت الثالث من نوفمبر ١٩٢٥ ودعا الرافعى الى تنفيذ الفكرة واجتمع البرلمان فى فندق الكونتيننتال وتفرع عن اجتماعه انعقاد المؤتمر الوطنى فى فبراير ١٩٢٦ الذى تقرر فيه دخول الانتخابات وفيما يلى قصة هذا العمل الدستورى الذى كان من أجل الاعمـــــال التى قام بها فى تاريخ حياته ــ قـــال الرافعى :

فى مساء يوم السبت ٧ نوفمبر ١٩٢٥ بعد الفراغ من عملى اليومى فى جريدة الاخبار اخذت اقرأ كتابا وضعه الاستاذ بول ماثر فى البحث الخاص بحل الجمعيات البرلمانية ابتغــاء الوقوف على آراء علماء الدستور فى مدى السلطة التى تخـول الحكومـة الانفراد باصدار القوانين خلال الفترة التى يـكون فيها البرلمان منحلا . فلم أكد انمم القسم الأول من هذا الـكتاب حتى رأيت نفسى امام غاية أخرى غير التى كنت أسعى وراءهـا لان الآراء التى ادلى بها الكاتب فى مسألة حل البرلمان والآثار التى ترتبت عليه كانت بمثابة قبس من نور هدانى الى طريق جديد كان مغلقا أمامى وأمام غيرى .

وتكونت لدى عناصر الفكرة التى عزمت على الكتابة فيها ولا استطيع أن اصف مقدار سرورى باهتدائى الى هذه الفكرة التى اعتقدت ان تنفيذها يخرج البلاد من الأزمـة التى كانت تتخبط فيها وكدت اصيح لقد وجدتها ــ لقد وجـــــدتها ، كما فعـل أرشميدس حينما اكتشف فجأة قانون الوزن النوعى ــ وما لبثت أن فاتحت بعض الاخوان بهذه الفكرة وناقشتهم واقتنعوا بها وأن

كانوا لم يتوقعوا نجاحها وبدأت حملتى من اليوم التالى (الاحد ٨ نوفمبر) ولكننى كنت اخشى كثيرا كما خشى اخوانى ان تحبط هذه الفكرة وتقف عند مجرد الادلاء بها دون ان يسمع لها النواب وتدخل فى دور التنفيذ بيد ان الله قدر لها النجاح فكتب اكثر الصحف فى تأييدها واتفقت كلمة الاحزاب على الدعوة اليها ونشطت الامة لتحبيذها ونهض نواب البلاد لتنفيذها وكانت الايام القليلة التى تفصل ٨ نوفمبر عن ٢١ نوفمبر حافلة بحركة وطنية كبرى كللت بفوز باهر بالرغم من المساعى التى بذلتها الحكومة وقتئذ لاحباط هذه الفكرة — انعقد البرلمان اذن فى فندق الكونتننتال بين سمع الحكومة وبصرها فكان لهذا العمل اثران فى نفسى — الاول — سرورى بانقاذ الدستور وفوز الامة واندحار الحكومة وهو ذلك السرور الذى عم البلاد واشتركت فيه جميع الطبقات — الثانى : ارتياح ضميرى ارتياحا يشعر به كل من وفقه الله الى دعوة صالحة كتب لها النجاح » .

وفى نفس اليوم المحدد لاجتماع البرلمان كتب الرافعى يقول : استئناف الحياة النيابية وانعقاد البرلمان بارادة الشعب — اجتمع البرلمان بالرغم من ارادة الوزارة — اجتمع البرلمان بالرغم من القوى المسلحة — اجتمع البرلمان بالرغم من الخطة الحمقاء التى اشار بها حلمى عيسى وعلى ماهر — اجتمع البرلمان رغم كل شىء — اجتمع البرلمان وانف الاستبداد راغم — اجتمع البرلمان فسجل فى تاريخ مصر صفحة خالدة سيقرأ فيها العالم بأسره ان مصر لا تعرف الهزل فى حياتها وانما تعرف الجد — انه لدرس جليل القته الأمة على المستبدين واشهدت العالم على أن الروح الوطنية تدب فيها دبيب الحياة وان نارها اصبحت موقدة فى كل قلب من قلوب ابنائها فلا يستطيع اى مستبد ولا اى ظالم أن يخمدها او يضعف اثرها .

ويصف عبد الرحمن الرافعى هذا الحدث الضخم فى مذكراته المخطوطة التى نحتفظ بها والتى لم تنشر بعد — بقوله : «

يوم السبت ٢١ نوفمبر ٢٥ يوما مشهوداً فى تاريخ مصر وفى تاريخ الحياه البرلمانية المصرية ففيه انعقد البرلمان من تلقاء نفسه فى فندق الكونتننتال بالرغم من ارادة الحكومه ان الفضل فى هذه الحركة العظيمة يرجع الى شفيقى امين الرافعى لانه هو الذى ابتكر فكرة وجوب انعقاد البرلمان فى ٢١ نوفمبر طبقا للمادة ٩٦ من الدستور وكتب سلسلة مقالات مملوءة حججا قوية وبراهين قانونية فى وجوب انعقاد البرلمان من غير دعوة من الملك . كتب اول مقالة فى الاخبار يوم ٨ نوفمبر ١٩٢٥ وأثبت أن مرسوم الحل قد بطل بالمرسوم الذى أوقف عملية الترشيحات بسبب شروع الحكومة فى تعديل قانون الانتخابات ومع أن الاخبار ليست منتشرة مع الاسف فان الفكرة لقيت تعضيدا كبيرا من الصحف لأن السعديين والأحرار الدستوريين والجمهور كانوا متعطشين لعودة الحياة النيابية بعد ما عانوا من سيئات حكومة الاتحاد ما عانوا . وافق الأحرار الدستوريين بلسان صحيفة «السياسة» على الفكرة وكذلك أقرها السعديون فى صحفهم . وصارت حديث الناس فى مجالسهم على اختلاف أحزابهم وأعلن حافظ بك رمضان باسم الحزب الوطنى قرار اللجنة الادارية فى ١٣ نوفمبر ١٩٢٥ بدعوة نواب الحزب الوطنى فى البرلمان ومن ينحو نحوهم من النواب الى الانعقاد فى دار البرلمان يوم ٢١ نوفمبر طبقا لاحكام الدستور فكانت هذه الدعوة الرسمية من الحزب الوطنى تسجيلا لفكرة أمين بك ان الحزب الوطنى هو صاحب الفضل فى هذه الفكرة من مبدأ ظهورها وظهر ان سعد باشا فى خطبته التى كان ينوى القاءها يوم ٢٣ نوفمبر موافق على الفكرة ولو انه لم يشأ أن يردها الى صاحبها وقال انها ليست جديدة والحق انها جديدة لان أمين بك هو الذى ابتكرها ولولاه لما التفت أحد الى وجوب انعقاد البرلمان ، بعد حل مجلس النواب تبين أن الاحزاب كلها وافقت اذن على الفكرة فوجب على النواب ان يلبوا الدعوة فاهتمت الأمة بهذه المسألة اهتماما عظيما

لأن انعقاد البرلمان بعد حل مجلس النواب حادث خطيـــر يعيد الحياة النيابية الى البلاد رغم ارادة الحكومة وانهمـر سـيل التلغرافات فى جميع الصحف تأييدا للفكرة وكان واجبـا على أن أعمل على نجاح الفكرة والحق انى قمت بمجهود عظيم فى سبيل نجاحها سافرت الى مصر صباح يوم الاربعاء ٨ نوفمبر فتقابلت مع اخوانى اعضاء الحزب لنتفق على طريقة اجتمـــاع البرلمان ونتفاهم مع نواب الاحزاب الاخرى على طريقة الاجتماع وكانت الحكومة قد شعرت بخطورة الفكرة فأعلنت بلسان صحافتها انها ستمنع الاجتماع وأنها ستعتبره باطلا وانها ستحيط دار البرلمان بقوة جنودها فى الجيش والبوليس لمنع الاجتماع وأصدرت بلاغا تطلب فيه من النواب والشـيوخ ان يمتنعوا عن عقـد اجتمـــاع قالت انه باطل وتهددهم بانها ستمنع الاجتماع فى دار البرلـمان وفى اى مكان آخر .

عزمت على أن أقوم بواجبى فى سبيل التفاهم بين الاحزاب فقابلت فتح الله بركات باشا فى منزله صباح الخميس وسألته عما اذا كان الوفد قد نظم طريقة اجتماع البرلمان فرأيت منه تخوفا كبريا من عواقب الاجتماع ودهشت لانى اعلم أن انعقاد البرلمان فى هذه الظروف هو لمصلحة الوفد لان الاغلبية فيه للسعديين ولقد قال لى ان الفكرة هى فكرة الحزب الوطنى فعليه هو أن ينظم الاجتماع فقلت له ان الحزب الوطنى هو حقيقة صاحب الفكرة ولكن ليس له الاغلبية بل هو اقلية صغيرة ولا يطلب من الاقلية وضع خطـة تنفيذ الفكرة وكانت المناقشة على غير جدوى وأخيـــرا فهمت منه أنه يفضل مقابلة حافظ بك رمضان لسعد زغلول ليتكلم فى هذا الموضوع وكنت عالما أن حافظ بك غير راغب فى هذه المقـابلة لتكرار ورود اسمه فى تشريفات بيت الامة حينما قابل سـعد باشا غير مرة منذ اكثر من شهر فلمحت لفتح الله بركات الى هذا المانع وقلت له انه ليس من المناسب عندما يقابل مثـــل

حافظ بك سعد باشا ان يرد اسمه فى التشريفات ويبلغ الصحف
واخيرا فهمت انه لابد لحل هذه العقدة من ان يتقابل حافظ
بك مع سعد ، فذهبت الى نادى الحـــزب الوطنى واجتمعت
واخوانى وأفهمتهم الحـــديث الذى دار بينى وبين فتـــح الله
باشا وكان حافظ بك مترددا لان نفس أعضاء الحـــزب كانوا
يلومونه على تكرار مقابلته لسعد وبعد مناقشة طويلة اســتقر
الرأى على ان يقابله فتقابلنا مع فتح الله باشا وعلى الشـــمسى
ودعانا فتح الله الى الغداء فى منزله فذهبنا معه لنتم مساعينا
فى سبيل التفاهم – ورأيت من حديث فتح الله لحافظ بك انه
شديد الوجل من اجتماع البرلمان وقد لاحظت أنه يتخوف من
عدم نشر الاحرار الدستوريين لقرارهم وانه لا يثق بهم فهو لا
يريد ان ينفرد النواب السعديون بتحمل هذه المسئولية مـــع
نواب الحزب الوطنى فلما عرضنا عليه ان يتداول النواب قبل
يوم الاجتماع فى اصدار قرارات يوقعونها حتى تكون معدة
للنشر يوم ٢١ نوفمبر فيما اذا لم يتيسر عقد البرلمان اظهـــر
كذلك تخوفه من عواقب هذه الطريقة وقال كيف تضمنون ان
لا تصل الحكومة الى استكتاب قرارات تناقضها من باقى الاعضاء
وافترقنا الساعة الثالثة على أن يعود حافظ بك لمقابلة ســـعد
باشا فى بيت الامة الساعة الخامسة لان سعد كما يقول فتح الله
باشا هو مفتاح الباب ، ذهب حافظ لمقابلة سعد باشا فى الموعد
فألفاه أيضا متخوفا جدا من الاجتماع – وكان حديث فتـــح الله
باشا صورة لافكار سعد وقد الح عليه حافظ بـك فى ضرورة
العمل وان الجمود يقضى على الحركة كما انه يؤثر فى مركز سعد
والظاهر ان حديث حافظ بك قد أثر فى نفس سعد واخرجه من
الجمود لانه فى المساء دعا حافظ بك من جديد لمقابلته بعـــد
العشاء فعلمنا انه حصل تطور فى الموضوع ولكن قبل ذلك نشر
سعد نداء للامة بالتزام الهدوء والسكينة فى يوم ٢١ نوفمبـــر
ففهمنا من ذلك انه ما زال شديد التخوف من عواقب الاجتمـــاع

والتصادم مع قوة البوليس والجنود ـ كتبت فى مساء الخميس مشروع قرارات يقررها البرلمان مجتمعا يوم ٢١ نوفمبر وكان من رأيى ان نتفق قبل هذا اليوم على صيغة القرارات وان يجمع عليها النواب للاحزاب المختلفة حتى لا يحصل أى خلاف يوم ٢١ نوفمبر وحتى يمكن عقد اجتماع قصير ينتهى باعلان هذه القرارات ـ فكرت فى ذلك لاننا كنا نتوقع ان الحكومة لا تمكننا من عقد اجتماع صحيح فوافق اخوانى أعضاء الحزب على هذه القرارات وذهب حافظ بك رمضان وعبد الحميد بك سعيد الى نادى الاحرار الدستوريين لعرضها على اقطابهم الذين كانوا مجتمعين فى ناديهم وهم عبد العزيز بك فهمى ومحمد على باشا وحافظ بك عفيفى ومحمود باشا عبد الرازق ومحمد باشا محمود وانتظرت انا فى نادى الحزب الوطنى لكى اتلقى طلبا من بيت الامة لابلغه الى حافظ بك ولم يوافق زعماء الاحرار الدستوريين على الصيغة التى وضعتها لانها عبارة عن اعلان ثورة فى نظرهم ويمضى عبد الرحمن الرافعى فى ذكر الحديث عن الخطوات التى ادت الى لقاء الاحزاب الثلاثة : الوفد والحزب الوطنى والاحرار الدستوريين ـ وكان الحزب الوطنى كما ذكر حافظ رمضان ـ هو موقف الزوج بين ضرتين (الوفد والاحرار الدستوريين) لا يستطيع كيف يوفق بينهما ويذكر الرافعى كيف كان الاحرار الدستوريين اسرع الى تنظيم الاجتماع فانهم اتفقوا مع فندق الكونتيننتال على ان يبيت اكبر عدد ممكن من النواب ـ ليكونوا على موعد للالتقاء باخوانهم صباح السبت وكنت ممن بات فى الفندق ليلة الاجتماع وكنا لغاية الصباح مترددين فى هل نعقد الاجتماع فى الكونتيننتال أم نذهب الى دار البرلمان ونحاول ان نقتحم ابوابه وقد كان من رأيى أن نجرب هذه المحاولة فان نجحنا انعقد البرلمان فى داره وان لم ننجح عدنا الى الكونتيننتال ، وعقدنا اجتماعنا فيه وكانت الاشاعات متضاربة والأنباء مزعجة فيما ستفعله الحكومة لمنع الاجتماع

فان البلاغات والتعليمات التى اصدرتها الحكومة ووزارة الداخلية كانت تقضى بمنع الاجتماع فى اى مكان ولو باطلاق النار وأعدت الحكومة احتياطات عسكرية كانما نحن فى حالة حـــرب وكان الناس فى البلاد فى خوف وقلق وانزعـــــاج على أنى نمت فى الكونتننتال نوما هادئا . تقابلت فى الصباح بردهة الكونتننتال بعض النواب الذين بكروا فى الحضور وكنت أرى على الوجه ابتسامة الحزم والعزم فتفاءلت خيرا وكانت القوات المسلحة منتشرة فى الشوارع والطرقات والقوة الكبرى معسكرة فى دار البرلمان — على أن الذى لاحظته ان الجنود وضـــــاطهم كانوا يظهرون عطفهم واحترامهم للنواب والشيوخ واعجـــابهم بهذه الحركة المباركة والواقع ان الجيش لم يكن فى صف الحكومـــة وكذلك البوليس وهذا مكسب كبير لنا لاننى على يقين انه اذا استمر التضامن الذى ظهر فى اجتماع الكونتننتال فان الحكومة لا تجد آية قوة ترتكز عليها لمقاومتنا .. الى ان كانت الســـاعة العاشرة فعددنا الحاضرين منهم فوجدناهم نحــــو ١٨٠ نائبا وشيخا وكانت اغلبية النواب المطلقة قد تكامل عددها فأصبح من الممكن عقد مجلس النواب وكان سعد باشا لا يريد حضـــــور الاجتماع ، هذا أمر واقع ، وكتابة صيغة الاحتجاج الذى وقعـــه النواب السعديون تدل على انهـــم يريدون الاكتفـــــاء بالاجتمـــاع واعلان ارادة النواب فى أن يجتمعوا ما استطاعوا الى ذلك سبيلا .. وأذكر اننا عندما كنا فى منزل سعد باشا ليلة الجمعة قال لنا بصراحة يجب أن نكتفى بالاحتجاج وان لا نحاول الذهاب الى البرلمان أو الاجتماع لانه كان متخوفا من العواقب ولـــكن تطور الحال صباح السبب ارجعه عن عزمه واقنعه بالعدول عن رايه والحضور لمشاركة الاعضاء فى اجتماعهم وليس من شك أن من مهارة ســــعد مســــايرة الظروف وانتهازه الغـــرص الطـــارئة والاستفادة منها ولكن يظهر ان سعد لما تكامل عـــــدد النواب واخذوا يوقعون القرارات التى اتفقنا عليها خاطبه بعض اعضاء

الوفد فى التليفون فى ضرورة الحضور فحضر والاعضاء يوقعون ـ والحق ان حضوره أثار الحماسة فى النفوس لا فى الاعضـــاء وحدهم بل فى الجماهير ويجب ان نعترف بأن لسعد شخصية كبيرة مؤثرة فى الاجتماعات وتزيدها قوة هذا هو رايى وان كنت أعتقد ان انانية سعد قد اضرت كثيرا بالقضية الوطنية كما انها فككت الوحدة القومية وكنت اعتقد انه اذا استطعنا ان نقلل من أنانية سعد ونجعله زعيما قوميا لا زعيما حزبيا لاستفادت البلاد كثيرا من هذا التطور والواقع انه حضر اجتماع الكونتننتـــال بروح مسالمة وهوادة مع خصومه السياسيين لا بروح التعصب الحزبى الذى اشتهر به والذى رأيته فيه حتى ليلة الجمعة .. وحضر ومد يده نحو خصومه ورفع راية التضامن القومى بالكلمة التى القاها بعد انتخابه رئيسا .. وسعد هو مقتـــرح اجراء انتخاب اعضاء مكتب المجلس والواقع انه محق فى اقتراحه لاننا ما دمنا اعتبرنا انعقادنا دستوريا وأصدرنا قرارات برلمانية فمن الواجب علينا ان نبدأ بانتخاب الرئيس والوكيلين والسكرتيرين والمراقبين تنفيذا لاحكام اللائحة الداخلية لكن هذا الاقتراح قد أساء الاحرار الدستوريين وخصوصا عبد العزيز فهمى ومحمد على وغيرهم لانهم لم يكونوا يريدون سعدا رئيسا وكانت حجتهم أن انتخابه رئيسا يغضب الملك ويعتبر تحديا له ولا اخليهم من التأثر فى هذه المسألة بالحزازات القديمة ، لاننـــا اذا كنا نريد اعادة الدستور والحياة الدستورية فيجب علينا ان نحترم حكم الاغلبية وهذا ما قاله لهم حينما اعترضوا على اجراء الانتخابات لاننا اما ان نريد الدستور واما أن لا نريده ، فاذا كنا نريده حقا فيجب علينا أن نحترم راى الاغلبية ولا جدال ان اغلبية النواب من السعديين فيجب دستوريا ووطنيا ان نرضى بسعد رئيســا للمجلس واما أن نقبل الدستور فى جزء منه ونرفض حكمه فيما لا ترضاه فهذا ليس من الدستور فى شىء وفعلا تمت انتخابات لمكتب المجلس والحق انها تدل على تغيير فى نفسية سعد لانـــه

رضى أن يكون الوكيلان غير سعديين وجعل وظائف السكرتارية والمراقبين موزعة بين السعديين وغير السعديين وفى ذلك ما فيه من روح المسالمة والمهادنة - ويكتب الرافعى عن نتائج انعقـاد البرلمان فيقول . كان لانعقاد البرلمان نتائج خطيرة جدا فى حالة البلاد السياسية لانه كان بمثابة اعلان العصيان والتمـرد على النظام الاستبدادى الذى تحكم به البلاد فى ظل عصابة حـزب الاتحاد والسراى والحق ان هذا العصيان قد اشتركت فيه كـل طبقات لأمة وكل الهيئات المفكرة فى البلاد لانه ما من هيئة تحترم نفسها ترضى بأن يتحكم فى مصير البلاد بضعة أفراد من ادنياء النفوس وطلاب المنافع الشخصية ، والواقع ان حزب الاتحاد قد ضرب ضربة قاتلة بهذه الحركة المباركة وابتدأ الشـعور الوطنى يستيقظ من جديد ويهب بقوة ونشاط لمحاربة الظـلم والاستبداد بعد ان مضى عليه زمن طويل وهو مصاب بالجمود والفتور ولا شك أن تضامن الاحزاب السياسية هو الذى هـز الرأى العام وأخرجه من الجمود الذى كان غارقا فيه فهبة الرأى العام وشعور الامة بقوة التضامن وتضعضع هيئـة الحكومة الفردية هى من أهم النتائج التى ترتبت على انعقاد البرلمان .. ولقد ولد اتفاق الاحزاب قوة فى الرأى العام لان الحكومة أحست بعزلتها بالسخط الذى وقع عليها وليس فى مقدورهـا وهى فى عزلتها وضعفها ان تقاوم طويلا قوة الامة فى تضامنها واتحـاد زعمائها .. وقد كسب الحزب الوطنى من هذه الحركة مكسب ادبيا كبيرا وارتفع نجم أخى امين بعد ان كان مرمـوقا من الجماهير السعدية بعين السخط فالان شعروا بأن دعوته هى التى ادت الى انعقاد البرلمان واتحاد كلمة الامة فاليه يرجـع الفضل فى هذه الحركة المباركة والان شعروا بأنهم كانوا ظالمين فى اتهامه والسخط عليه وهكذا لا يلبث الحق أن يعلو ويتغلب على العقبات والدسائس والاباطيل التى يلقيها الباطل فى طريقه » .

مع الحرية بلا حدود

كان امين الرافعى من أصدق المؤمنين ـ بلا حـــدود ـ بالحرية ، حرية الكتابة وحرية الخطابة وحرية الاجتماع وحرية التعبير والحرية الشخصية وشتىانواع الحرياتولم يكن الرافعى يكافح من أجل تحقيق الحرية له وحده أو للذين يقفون معه بل لخصومه أيضا فالحريات هى مقومات الحياة ولا يمكن أن يحرم منها أحد .. ولم يكن الرافعى يثور ضد تعطيل الصحف الوطنية التى يعمل بها ، أو ضد اتخاذ الاجـراءات غير العـــادية ضد الصحفيين الذين يؤمنون بمبدئه فحسب وانما كان يثور ضـــد تعطيل الصحف المعارضة وضد اتخاذ الاجراءات غير العادية تجاه خصومه من الصحفيين أيضا . فتعطيل الصحافة فى رأى أمين الرافعى عمل جائر ، والزج بالكتاب والصحفيين فى السجون والمعتقلات لا يمكن ان يقضى على الآراء التى يدافعون عنها ـ ولو كانت آراء خاطئة وانما الذى يجدى ويفيد هو الاقناع ، فبدلا من أن تعطل صحيفة ما يمكنك أن توضح للرأى العام أخطاء اتجاهها وبدلا من أن تزج بصحفى فى سجن أو معتقل يمكنك أن تقضى على آرائه الخاطئة عن طريق الحوار والمناقشة . كتب الرافعى فى ٦ سبتمبر ١٩٠٩ مقالة تحت عنوان نحن والحكومة أكد فيها وجود هوة سحيقة بين الأمة والحكومة « فالحكومة تهزأ بالرأى العام وتسخر منه وتعد الأمة عدوة لها لا تستحق رحمة ولا عطفـــا والرأى العام ساخط على الحكومة يرفع أصوات الاســـتياء من

أعمالها فتذهب هذه الأصوات أدراج الرياح » ويتساءل الرافعي في نهاية مقالة : هل هناك ثورة مدبرة ؟ أحرم على الناس المطالبة بحق كان لهم من قبل ؟ أم ماذا جرى حتى آلت الأحوال الى ما نحن عليه الآن » .

وكتب الرافعي في ٢٥ مارس سنة ١٩١٠ في ذكرى صدور قانون المطبوعات يقول : « عام انقضى على صدور هذا القانون والأمة تئن منه وتشكو من تطبيقه فلا يسمع لها أحد نداء » ثم قال « ان الحرية مهما صودرت وضويقت في مكامنها فلا يتوارى ضياؤها ولا تغرب شمسها ولا تلبث أن يزيدها الحجب ظهورا ولا يفعل بها الضغط الا انماء وانبعاثا » .

وعندما يناقش الرافعي السير جورست المعتمد البريطاني في مصر في تقريره السنوي قال : يجب ان تكون الصحافة حرة لأنها تعبر عن رأى الأمة بأسرها لأنها خلاصة أفكار الطبقة الجاهلة والطبقة المتعلمة وهي المرآة التي يرى كل انسان فيها نفسه بجانب غيره فيقارنها بمن سواها ويصدر حكمه بعد ذلك .

كانت جريدة الأخبار تعادى الرأى العام ويوم أن نزل الايطاليون الى شاطىء طرابلس كتبت تقول : « ادخلوها بسلام آمنين » ولكن يوم أن عطلت كتب الرافعي في ٣ مارس سنة ١٩١٢ في صحيفة الأفكار يقول : ان ديدن الأخبار التصفيق لكل جديد لقانون العقوبات والتشفى من كل جريدة وطنية ينالها نصيب من هذا القانون ولكن ذلك كله لا يبرر قرار الداخلية القاضي بتعطيلها شهرين ، لأننا نبغض تطبيق القوانين الاستثنائية حتى على خصومنا السياسيين وما دامت خطتنا انتقاد مبدأ من المبادىء وجب علينا ان لا ننظر للاشخاص ولا نلجأ الى الشماتة كما يفعل غيرنا — ان قانون المطبوعات ما وضع الا لزمن الثورة فليس له مسوغ الآن بأى حال من الأحوال ولقد رفعت جميع طبقات الأمة صوتها بالاستياء منه مطالبة بالغائه فمجلس الشورى

طلب الغاءه والجمعية العمومية طلبت بالاجماع الغــاءه وكذلك الأحزاب وجميع الهيئات التى فى مصر فلا معنى اذا لبقاء سيفه على الرؤوس لا معنى لأن تكون الصحف مهددة بضرباته القاتلة فبينما القلم يخط اليوم ما شاء واذا بنا نراه فى الغد محطمــا ليس هذا هو الذى تطلبه أمة تنشد الحرية وليس هذا ما يتفق والقرن العشرين وليس هذا آية من آيات المدنية » .

وعندما عطلت صحيفة وادى النيل كتب الرافعى فى العلم ١٨ أبريل سنة ١٩١٢ مقالا عنيفا تحدث فيه عن تعطيل « مصر الفتاه » تعطيلا أبديا ، كما تحدث عن تعطيـــل « الشـــعب » و « الأخبار » و « وادى النيل » وقال ان هذه التصرفات لا تفيد الا شيئا واحدا وهو أن يمتنع الكتاب عن توجيه كلمة انتقاد للحكم . ولم يكن الرافعى يدافع فقط عن حرية الصحافة بل كان يدافع عن حرية التعبير بشتى صورها ، كتب فى ٥ فبراير ١٩١١ فى « العلم » ينقد التضييق على التمثيل فقال : وضع بعضهم رواية تمثيلية عن حياة نابليون فى جزيرة هيـــلانة عندما كان أسيرا لانكلترا قبل موته وابان فيها المعاملة التى عومل بها ثم عرضها على نظارة الداخلية وبعد فحصها رفضت الترخيص له بتمثيلها ونحن نعجب لهذا التصرف الاستبدادى لأنه ليس هناك قانون يخول الداخلية فحص الروايات قبل تمثيلهـــا للترخيص بما يوافقها ورفض ما لا يتفق مع آرائها ، ولا ريب فى أن تداخل الداخلية فى أمر التمثيل بهذه الصفة اى بغير حق شرعى يجعلنا نعتبر انفسنا فى بلد تقام فيه الأحكام العرفية لأننا لا ندرى كيف تحجز الحكومة على حريات التمثيل هذا الحجر الغريب ؟ ومن خولهــا تلك السلطة الاستبدادية وما هو القانون الذى تستمد منه ذلك ؟ هذا ما نسأل عنه عطوفة ناظر الداخليـــــة الذى صرح فى أول عهد الوزارة السعيدية (الحرة) بأنه يعتبر الحرية حقا طبيعيا للأمم ويمقت وسائل الضغط ، فأين هذه الحرية يا عطوفة الوزير ونحن نرى ركنا منها يقبر بلا قانون أو لائحة بعد ما قبرت الأركان

الاخرى . لقد ملكتنا الحيرة يا عطوفة الوزير من هذه التصرفات التى ما كنا نسمع بها قبل الآن . يوعز الى الممثلين بعدم تمثيل بعض الروايات ويرغم الكتاب على عرض رواياتهم على الداخلية قبل تمثيلها وترفض هذه النظارة الاذن بتمثيلها واذا اراد احدهم استئجار ملهى من الملاهى او اى محل عمومى آخر لاقامة احتفال أو غيره منع من ذلك وأبى عليه صاحب المكان ما يريده الا اذا حصل على تصريح من الحكمدارية .. يحدث كل ذلك وأكثر منه بغير قانون ينص عليه فاذا سألنا عن مصدره أو المسوغ له قالوا لنا اوامر سرية صدرت ويجب أن يجرى العمل بها ولو انصفوا لقالوا انها أحكام عرفية مقامة فى البلد اننا لا يهمنا الرواية التى منع تمثيلها وانما يهمنا ذلك المبدأ الخطير الذى وضع للتضييق على البقية الباقية من اركان الحرية . وحول اشـاعة ترددت بأن فى دار جريدة الشعب منشورات ثورية قال الرافعى : اذا أصبح للوشايات اى أثر ولو كان طفيفا فان الحرية الشخصية تكون مهددة بخطر عظيم لقد فتش مندوب الداخلية ومأمور قسم عابدين دار « الشعب » فلم يجدوا بها شيئا . ويتساءل الرافعى عقب استدعائه الى وزارة الداخلية ـ وما أكثر ما استدعته هذه الوزارة فى تلك الفترة ـ وقد وجهت اليه تهمة الكتابة فيما يدخل الشك فى صحة بلاغات الوكالة البريطانية : « ما الذى يمكن أن نفعله لنكون محل رضائهم ؟ لقد أصبحت اكثـر مـواد « الشعب » تحرر فى دوائر المراقبة او الداخلية والتلغـرافات الخصوصية التى ترسل الينا لا تسلم الا بعد ان يصلح فيهـا الرقيب ما يصلح والتلغرافات العمومية وبلاغات الوكالات التى ترسل الينا من قلم المطبوعات تأخذ من صحيفتنا فراغا كبيرا مع أننا غير ملزمين بنشرها فما الذى يتبقى بعد ذلك حتى نحاسب كل يوم حسابا عسيرا . اننا اليوم لا ننظر الى هذه الحرب نظير انجليزى أو فرنسى وعلى ذلك لا يجوز ان نحاسب باعتبارنا انجليزا

وفرنسيين كما اننا لا ننظر اليها نظر المانى وانما نحن نراها بعين مصرية مستقلة » .

وتقوم الحرب العالمية الأولى وبنهايتها تبدأ ثورة ١٩١٩ ولا يستطيع الرافعى طوال عام ١٩١٩ أن يصدر صحيفة فيكتفى بكتابة المقالات فى بعض الصحف الصديقة وعند ما ساعدته ظروفه فاصدر « الاخبار » فى فبراير سنة ١٩٢٠ حالت الرقابة بينه وبين ما يريد ان يقوله وسقط سيف الرقابة ويودع الرافعى الرقابة فى ١٥ـ٥ـ١٩٢٠ بكلمة يحمد فيها الله على ما أنعم به علينا من جلاء الرقابة على الصحف . ولا ينسى الرافعى أن يحذر من اى اعتداء على حرية الرأى او المساس بها ، فحرية الرأى يجب ان تكون مقدسة محترمة .

وفى دراسات الرافعى عن الدستور يؤكد على ضرورة الحرص على الحريات وقد كان الرافعى اول من نبه الى الخطر الجسيم الذى جاء فى الدستور عندما نص على ان انذار الصحف أو وقفها أو الغائها بالطريق الادارى محظور الا اذا كان ذلك ضروريا لوقاية النظام الاجتماعى . وقال ان هذه العبارة الأخيرة قد سلبت الصحافة حريتها الصحيحة، لأن محاسبة الصحف بالطريق الادارى انما هو قضاء على الصحافة وحريتها ولا سيما اذا استخدم فى هذا السبيل نص مبهم غامض مرن لا حدود له ولا قيود اذ ان وقاية النظام الاجتماعى يمكن تطبيقها على كثير من الامور ، ان تدخل الادارة فى شئون الصحف لا سيما فيما يتعلق بحياتها وموتها انما هو تدخل سيء المغبة يطعن الحرية طعنا قاتلا مهما كانت الاسباب الداعية لهذا التدخل لانه تدخل لا مبرر له اذ حرية الصحافة تحتم ان يكون حساب الصحف من حق القضاء وحده اما الطريق الادارى فانه طريق استبدادى محض ولا يمكن التخلص من اخطائه الفظيعة ولا من شهواته السياسية ولا من اغراضه الانتقامية ، ولقد وجدت البلشفية فى جميع أنحاء أوربا ومع ذلك لم نسمع بأن حكوماتها الدستورية ادخلت فى دساتيرها ذلك

الاستثناء الموجود فى دستورنا المصرى أو فكرت فى تعطيل الصحف او وقفها بالطريق الادارى وكم هناك من صـحف تقف اعمدتهـا لنشر الفكرة الشيوعية ومع ذلك فانها اذا خالفت القوانين لا تجرؤ الادارة على التدخل فى شأنها بل يعهد بأمرها الى القضاء وحده فهو الذى يفصل فى جميع جرائم الصحافة بل ان كثيرا من البلاد قررت حرصا على حرية الصحافة أن لا ينفرد القضاء بمحاكمـة الصحفيين وانما يقضى هذا القضاء بنـاء على قـرار هيئـة من المحلفين وقد بالغ الشارع الفرنسى فى احترام هذا المبدأ الى حد أنه حتم عدم رفع الدعوى المدنية الا امام قضاة الدعوى الجنائية حتى يمنع الفصل فى آية نقطة من نقط الدعوى الصحفية بدون تدخل هيئة المحلفين فالتوارى خلف خطر الدعوة البلشفية لابقاء سيف الطريق الادارى مهددا للصحف بالموت وللحرية بالفناء انما هى وسيلة يستحيل الدفاع عنها فالقضاء هو الهيئة الوحيـدة التى يجب ان تحاسب الصحف على ما تنشر والقانون العـام هو وحده الذى يرجع اليه لمعرفة الجرائم المعاقب عليها . »

وروى الشاعر احمد محرم حادثة يتجلى فيها ايمان الرافعى بحرية النشر فقال . اردت يوما ان أكتب مقالا عن بعض الصحف الاسبوعية التى اغرقت فى نشر الفضـائح ولما عرضت نيتى على امين الرافعى واظهرته على مقال لبعض الزميـلات من كبريات الصحف ألحت فيه بشدة طالبة وضـع تشريع قال لى بلهجـة الغاضب المشفق : اكتب ما تشاء ولـكن لا تطلب وضـع تشريع يقيد حرية الكتابة لاننا مرهقون بالقيود ، واننا نطلب الحـرية مطلقة بلا قيود .. قلت ولكن الحرية المطلقة لا وجـود لها فقال وهل للحياة قوانين تحدها انها تجـرى على سنن من الشـذوذ وحسب الحياة أن تكون بريئة لتكون صالحة قلت وماذا يمكن ان يصد هذه الصحف عن نشر الفضائح ان لم يسن قانون يحـرم الخوض فى الشخصيات ، فقال . « الضمير » هو الشريعة فخاطب

ضمائر زملائنا اصحاب ومحررى الصحف الاسبوعية الجريئة على العلاقات الشخصية وعلى حوادث ما وراء الستــــار ، وترفق فى مناشدتهم فقد تنـــال باللين ما لا تنـــاله بالعنف ، وسبيلنا هو النصــيحة وما كانت ســـبيلنا ان نستعين بالقوانين على تقييد الحريات لان القوانين تفسر وفق الاهواء ولانها قد وضعت بحيث تتخذ يوما من الايام الة للارهاف والانتقام ؟ فاقتنعت بوجهة نظره واقتنعت بان الرافعي أكبر مشرع معاصر وكنت اظنه متفقها فى القانون فاذا بى اراه فقيها فى علوم الحياة ، ولم يغب عنى ان المغفور له كان يحب الحرية لخصومه وخصوم المجتمع وللامم المهضومة كما يحبها لنفسه : الحرية التى كان يدعو اليها الراحل الجليل حرية تقوم على الفضيلة وعلى الانسانية وعلى العدل لا حرية كتلك التى نفهمها ولكنها حرية يفهما الرسل والانبيــاء ولم يــكتب الرافعي كلمة واحدة ضد حرية الاجتماعات وضـــد حرية المظاهــرات فى الوقت الذى قذفت الجماهير الطائشـــة دار « الاخبـــار » ، بالحجارة وكادت تقتحمها عليه لانه يطلب الحــرية للجميع ولانه يعتقد ان تقييد الحرية اذا حمى شخصه فربما اضر بالامة فليذهب هو فداء الامة ولتتوطد الحــرية على جثته وعلى جثث سواه اذا لزمت الحال ».

لم يكن عباس محمود العقاد ينتمى الى المدرسة الوطنية التى انتمى اليها الرافعي ولم يلتق العقاد والرافعي يوما فى عمل صحفى واحد ، ومع ذلك فان احدا لم يفهم امين الرافعي كما فهمـــه العقاد ، ولم ينجح فى تصوير شخصيته ، كما نجح العقاد . قـــال عباس محمود العقاد يصف الرافعي :كان امين مؤمنا وكفى بالايمان عزاء فى شقاء الحياة ، وكفى به شقاء فى عالم الكفاح فلولا ايمان الرجل لما القى بنفسه فى ميدانه ولولا ايمانه لعز عليه الصبر فى بلائه فالايمان عدوه والايمان حليفه وبالشقاء من يأتيه الكيد من حليفه الحميم وبالسعادة من يأتيه العون من عدوه المبين لم تكن للرافعي

آراء تحتمل الخطأ والصواب وانما كانت له عقائد لا ترخص بشك
ولا تأذن في هواده وكان حد العقيدة عنده ان يجهر بالراى فما هو
الا ان يخالف فيه المخالفون حتى يفصح عنه ويشتد في تأييده
ويأخذ على المعارضين سبيل الشك في أصوله وفروعه وحتى يلتقى
الراى والايمان ويمتزج اليقين والبرهان واذا بكل راى كأنه دين
ذو شعائر وفروض لا تختل منها شعيرة ولا تمس منها فريضة
واذا بنفسه كلها قد صبت قواها على الراى فلا بقية فيها لراى
سواه .. لقد عاش امين لرأيه وعقيدته فكان مثلا في الثبات
وعنوانا شريفا لصناعة الصحافة وفردا من الافراد الذين رفعوا
هذه الصناعة النبيلة عن طمع الطامعين وشبهة المشتبهين ...
فالرافعى لم تكن له كما يقول العقاد آراء تحتمل الخطأ والصواب
وانما كانت له عقائد لا تحتمل الجدل والمناقشة والتحوير
والتأويل وكما لا يجوز الخروج على الاصول فكذلك لا يجوز
الخروج على الفروع ان معتقدات الرافعى كائن حى له قلبه وعقله
وفكره وأطرافه وكل ما للكائن الحى من اجزاء والاضرار بجزء من
هذا الكائن مهما صغر هذا الجزء ومهما بدت عدم اهميته اضرار
بجسم الكائن كله .

كان الرافعى ـ مثلا ـ يؤمن بأن شر ماأصاب مصر في قلبها هو
الاحتلال البريطانى وكان لا يرى من دواء لهذا الداء الا الجلاء فأى
لقاء او اتفاق أو تعاون أو مصالحة مع المحتل بدون الجلاء اضرار
بالقضية المصرية وأى طريق لا يوصل مباشرة الى الجلاء طريق
لا امان فيه ولا يمكن لاحد ان يطمئن اليه او يسير فيه ..
والرافعى ـ مثلا ـ كان يؤمن بالدستور والحياة النيابية القائمة على
أسس ديمقراطية سليمة ، فأى عمل داخلى لا يستهدف الحصول
على الدستور ولا يوصلنا مباشرة الى الحياة النيابية السليمة عمل
لا يعتد به ولا خير فيه .. والرافعى ـ مثلا ـ يعتقد بحرية
الصحافة في التعبير عن آمال الشعب وآلامه ومعتقداته ومطالبه

وأى قيد على هذه الحـرية حتى ولو أسرفت بعض الصـحف فى الخروج عن واجبها وأساءت الى المهنة قيد باطل يجب العمل بكل قوة للتخلص منه .

والرافعى — مثلا — يؤمن بأن بريطانيا قد اغتصبت مصر واحتلتها بالقوة والخيانة والخديعة وأى مفاوضة بين مصر وبريطانيا ينبغى أن تكون واضحة الاسس والمعالم بحيث تعترف بريطانيا أولا بحق مصر فى الحرية والاستقلال وبحيث تعلن بريطانيا عزمها على احترام حرية مصر واستقلالها وبعد ذلك يمـكن اللقاء للبحث فى التفاصيل .

وكان الرافعى — مثلا — يؤمن بأن مركز القوة فى مصر ، فى دار المندوب السامى البريطانى فهو وحده الذى يحـــرك الخديو ، والسلطان والملك — كما يحرك الوزراء والساسة او بمعنى أدق كثير من السياسيين وهو — اى المعتمد البريطانى — مهما يكن اسمه ومهما يكن الاسلوب الذى يعتمد عليه فى الحكم لا يعمل الا لتنفيذ السياسة البريطانيـــة الاستعمارية ولا يمكن ابداً لممثل بريطانيا فى مصر أن يعمل لفائدة مصر ، ولذلك فان اى تفاهم معه ، أو تعاون واياه — أو على الاقل سكوت على ما يرتكبه من جرائم يكون ضارا بالقضية الوطنيـــة المصرية ، ومفيـــدا للمصـــالح الاستعمارية البريطانيـــة وكان الرافعى مثلا — يعتقد بان الاسرة المالكة التى تحكم مصر ، لا تستهـدف الا مصالحها الشخصية ، ولما كان الاحتلال البريطانى قد جاء الى مصر باسم الدفاع عن هذه الاسرة وباسم حمايتها فان هذه الاسرة ستظل ملتصـــقة بالاستعمار ، معتمدة على قواته ، ولذلك فان محاربة الاستعمـــار البريطانى والقضاء عليه انما يعنى الاستـــفادة من التناقضـــات الموجودة بين المعتمد البريطانى وبين الخديو عباس حلمى الثـــانى لاضعاف السلطتين الشرعية والفعلية معا .

وكان للرافعى معتقدات كثيرة خاصة بالســـودان والجيش

المصرى والحزب الوطنى ولم تكن هذه المعتقدات تتبدل أو تتغير بتغيير الظروف وتبدلها ، لقد كان فى مصر معتمـدون عـديدون كرومر وجروست وكتشنر وونجت واللنبى ولويد جورج وكان فى أيديهم كل السلطة وكل الجاه وكانوا يختلفون فى أساليبهم كما كانوا يختلفون فى طرق معاملتهم للشعب ، ومع ذلك لم يتخلف الرافعى عن مهاجمتهم جميعـا وهم فى مـراكز السلطة ولم يقف من واحد منهم يوما ما وقف المسالمة أو المعادنة .

بينما كانت لجنة الدستور تعمل لاعداد الدستور كان الرافعى يكتب مقالات عديدة ، صريحة وجريئة حول سلطة الملك وكيف يجب « أن يملك ولا يحكم » وكيف يجب أن يباشر عمله عن طريق وزرائه ، وكيف يجب أن تتحمل الوزارة المسئولية كاملة بحيث لا يكون للملك الا التصديق على القرارات وكيف يجب الا يملك الملك سلطة الاشراف على المعاهد الدينية وكيف يجب الا يكون له حق منح الرتب والنياشين الا عن طريق الوزارة المسئولة امام البرلمان و..و.. وقد دخل الرافعى فى صدام مبـاشر مع الملك عندما أصر الملك على السفر الى أوروبا لاجراء مفاوضات مع بريطانيا دون أن يصحبه رئيس وزرائه كما دخل فى صدام مباشر معه فى موضوع حسن نشات باشا وكيل الديوان الملكى بالنيابة الذى كان يسير الوزارة من مكتبه فى السرأى وكذلك فى موضوع المخصصات الملكية واستبدال تفتيش بشبيش وسراى الزعفران وكان الرافعى كمحام قدير يعتمد فى كل ما يكتبه على القانون فلم تستطيع الحكومات الاستبدادية أن توجه اليه تهمـة العيب فى الذات الملكية التى وجهتها الى غيره .

فى منتصف يونيه سنة ١٩٢٥ كتب الرافعى عن استبدال سراى الزعفران بتفتيش بشبيش وذكر ما يتردد على ألسنة الشعب كما ذكر ما تردده الحكومة حول عدالة الصفقة وقال الرافعى ان ايراد التفتيش يساوى أربعة أمثال ايراد السراى وان الاعتماد

على الايراد فى تثمين قيمة التفتيش لا يمكن أن يكون مبررا للصفقة وفى ديسمبر سنة ١٩٢٥ بلغت فضائح حسن نشأت باشا فى القصر ذروتها وأصبح الرأى العام مستاء جدا لمواقفه المعادية للشعب فأراد المعتمد البريطانى الجديد جورج لويد فى مستهل عمله ان يكتسب أرضا شعبية فتدخل لاقالة حسن نشأت من منصبه . ورغم أن الشعب كان مستاء لهذا التدخل الا ان اقصاء حسن نشأت عن السراى كان له رنة فرح وكان مما قاله الرافعى عن اخراج حسن نشأت باشا ، انتهى دور من أدوار الازمة الحاضرة بخروج نشأت باشا من القصر الملكى وقد كانت البلاد تتمنى من زمن طويل وقوع هذا الحادث لان نشأت باشا استخدم منصبه فى غير ما انشىء له وكان اكبر خصم للدستور وألد عدو للحياة البرلمانية حارب نشأت باشا الدستور والحياة البرلمانية لانه أراد ان يسيطر على البلاد ويتحكم فى شئونها ويأمر وينهى فى كل امورها .

لقد كان أعضاء الوزارة الاتحادية آلات فى يده يلعب بهم كيف يشاء ويحركهم كيف يملى عليه هواه ، لقد كانوا عبيدا له خاضعين لا يعصون امرا ولا يرفضون له اشارة فكانت النتيجة الوبيلة ان فردا واحدا هو نشأت ، أصبح الكل فى الكل وأصبحت شئون البلاد فى قبضته وبينما كان الملك فؤاد يستعد للسفر الى اوربا أثار الرافعى موضوع هذه الرحلة فى اكثر من مرة اتسمت بالعنف وخاصة عندما طلب من مجلس النواب اعتماد مبلغ ٢٠,٠٠٠ فى ميزانية ديوان الملك لنفقات الرحلة وعندما ناقش مجلس النواب المخصصات والمرتبات الواردة فى ميزانية الديوان الملكى قال الرافعى : « ان خطة الاسراف والتبذير أصبحت عظيمة الضرر على البلاد ولا سيما فى الظروف الحاضرة التى قلت فيها ايراداتنا فاذا لم نعمل بحزم وعزم على تقليل نفقاتنا كان علينا ان نواجه ازمة مالية خطيرة لا ندرى كيف نتغلب عليها ولم يعد خافيا على

احد ان القسم الخاص بمرتبات ومخصصات ديوان جلالة الملك لتضخم تضخما لا يتناسب مطلقا مع ايراداتنا واشار الرافعى الى الزيادة المطردة التى طرات فى السنوات الاخيرة على المخصصات الملكية حتى اصبحت ٦٠٣٦٩٩ جنيها مصريا وهى زيادة فاحشة ليس لها ما يبررها » كما اشـــار الرافعى الى التخفيض الذى اقترحته اللجنة المالية فقال انه تخفيض اكثره تصورى ، وأشـــار الرافعى الى فداحة المبالغ التى تنفق على اصلاح السرايات الملكية والمبالغ التى زادت بسبب شراء قصرى المنتزه والقبة لسكنى جلالة الملك بمبلغ ٢٢٢ر٣٢٧ جنيها وأشار الرافعى الى اقتراح حافظ بك رمضـــان الذى يقضى بأن تعتبر سراى عابدين وسراى راس التين وحدهما مقرا للجالس على العرش ولا تتكلف ميزانية الدولة غير المصاريف اللازمة لهاتين السرايتين لان هـــذه هى الطريقـــة الاولى لسد هذه البالوعة التى تبتلع ميزانية الدولة ويوضع حد لتلكم المصاريف الطائلة التى لا فائدة منها واشـــار الى ما ذكره مصطفى الشوربجى من انه ليس هناك مثل قاطع على سياســـة الاسراف مثل ما ينفق على الباب الخاص بالركائب الملكية فقـــد حسب مجموع ما صرف فى هذا السبيل فى مدى ست سنوات فاذا به يقرب من نصف مليون جنيه فى حين اننا لم نر ثمة منفعة من هذه الركائب كما اشار الى ما ذكره كامل حسين الاسيوطى من ان ما ينفق على هذا الجزء من الميزانيـــــة يذهب على الكماليات وليس فيه من الضروريات الا جـــزء يسير جدا وينتقد الرافعى المجلس لانه لم يوافق على ما ارتأته اللجنة المالية ولم يوافق على ملاحظات الاعضاء وانما وافق على أن عهد الى حكومة الملك النظر فى الملاحظات التى بينتها اللجنة المالية . وفى اختيار الوزارة لتكون مسئولة عن قسم المبانى ابتداء من السنة المالية القادمة . وحول اصرار الملك فؤاد على عدم اصطحابه رئيس الوزارة معه فى رحلته الى الخارج كتب الرافعى يقول : « ان اصطحاب جـــلالة الملك

رئيس الحكومة أمر ضرورى لما فيه من احترام التقاليد الدستورية ولكن مجرد هذا الاصطحاب وحده لا يكفى لدرء الاخطار التى قد تترتب على مثل هذه الزيارة ومن أجل هذا كان حتمـا أن تطرح مسألة هذه الزيارة على بساط البحث فى مجلس النواب ووضع برنامج خاص لرئيس الوزراء فى هذه الزيارة لا يجوز له أن يتعداه حتى ولا يسمح له بالقاء تصريحات قد يأخذها الانجليز علينـا ويجعلونها دعامة يرتكنون عليها لتحقيق اغراضهم الاستعمارية ، وعندما احيلت صحيفة « السياسة » الى قاضى الاحالة تمهيدا لاحالتها الى محكمة الجنايات بتهمة العيب فى الذات الملكيـة ». كتب الرافعى اكثر من مقالة فى هذا الموضوع وأشـار الى الرأى القائل بضرورة التفرقة بين ذات الملك وعمله وكيف ان القانون وقف عند حماية ذات الملك ولكنه لم يتعرض لحماية عمل من أعماله ولا سيما اذا كان لهذا العمل مساس بالدستور ».

وبعـد ذلـك يأتى معتقـد الرافعى الخـاص بالمفاوضات بين مصر وبريطانيا وربما كان هذا المعتقد هو الذى حدد عمله السياسى منذ عام ١٩١٩ الى وفاته وبسبب هذا المعتقد خاض حربا ضارية ضد الوفد ، كما خاض معـركة عنيفـة ضد اخوانه وأصدقائه وزملائه فى الحزب الوطنى الذين كانوا لا يرون رأيه فى المفاوضات بصورة عامة . لقد كان الحزب الوطنى يتجه فى هذه النقطة الى التشدد الذى ما أبعده من تشدد،وكان الحزب الوطنى قد اتخذ قرارا فى ١٩ ديسمبر ١٩١٩ يقضى بأن « الامة لا تقبل غير استقلال مصر التام مع سودانها وملحقاتها استقلالا غير مشوب باية حماية او وصاية أو سيادة أجنبية او اى قيـد يقيد هذا الاستقلال وانها لا ترضى بالمخابرة مع آية هيئة بريطانية او غيرها الا اذا اعترفت بريطانيا بهذا الاستقلال التـام واعلنت اعترافها رسميا وايدته بجلاء الجنود الانجليزية عن وادى النيل وسحبت اعلان الحماية ، اى ان الحزب الوطنى كان يطالب قبل

المفاوضة مع أية هيئة بريطانية بالاعتراف بالاستقلال التام من قبل انجلترا وتنفيذ هذا الاعتراف بالفعل ، وكان الوفد قد اشترط قبول التحفظات التى أدخلها الشعب على مشروع ملنر ، ثم عاد فرأى دخول المفاوضات بدون أى قيد أو شرط . وهذا ما جعل الرافعى يختلف واياه .. فالرافعى اذن كان يقف موقفا وسطا بين الحزب الوطنى وبين الوفد فيشترط وضع أسس سليمة واضحة للمفاوضات بين مصر وبريطانيا الأمر الذى لا يقبله الوفد امعانا منه فى التساهل والامر الذى لا يقبله الحزب الوطنى امعانا منه فى التشدد هذا الاعتقاد الراسخ الذى آمن به الرافعى منذ عام ١٩٢٠ لم يتخل عنه الى وفاته والجدير بالذكر ان الكتاب الوحيد الذى أخرجه أمين الرافعى كان عن مفاوضات الانجليز بشأن المسألة المصرية وقد طبعه ووزعه فى أواخر عام ١٩٢١ وقد تكلف هذا الكتاب ٣٧ جنيها مصريا دفعها لصاحب مطبعة النهضة بشارع عبد العزيز وقام الرافعى بتوزيع اعداد كبيرة من هذا الكتاب مجانا وكما سبق أن قلنا ان الرافعى بعد فشل مشروع ملنر ومفاوضات ملنر أخذ على عاتقه محاربة كل مفاوضات بين مصر وبريطانيا لا تقوم على أسس سليمة وواضحة وكان الرافعى أبعد السياسيين نظرا فيما يتعلق بالمفاوضات وربما لو اتبع الساسة المصريون ما كان ينادى به لما وقعوا فى المصيدة التى كانت بريطانيا تضعها لهم ، واحدا وراء الآخر ، وحزبا وراء حزب الى أن وقعوا جميعا ــ فيما عدا الحزب الوطنى ــ فى الفخ الاكبر الذى انتهى بمعاهدة ١٩٣٦ ، وكان الرافعى اول صحفى مصرى اهتم بالجيش المصرى وتولى الدفاع عنه ضد مؤامرات الاحتلال البريطانى (•)

وقد كان الرافعى بحق محامى القضية السودانية وما من مناسبة الا وحمل الرافعى على السياسة الانجليزية الاستعمارية فى السودان .. وفى ١٩ يناير من كل عام كان الرافعى يكتب

باستمرار عن اتفاقية السودان «١٨٩٩» وينادى ببطلانها بطلانا مطلقا ، وللرافعى مواقف مشهورة فى القضية السودانية وخاصة عند وضع دستور ١٩٢٣ ويعتبر عام ١٩٢٤ عام السودان فى مصر ومعظم مقالات الرافعى فى ذلك العام كانت عن السودان وللحق وللتاريخ أيضا — لم تكن نظرة الرافعى الى قضية السودان تختلف أى اختلاف عن قضية مصر بل لقد كان يرى أن القضية الوطنية لوادى النيل هى قضية مصرية سودانية وكان الرافعى حريصا على اعتبار مصر والسودان دولة واحدة لكل جزء الحق فى الجزء الاخر وللسودانيين كما للمصريين فى وادى النيل نفس الحقوق وعليهم نفس الواجبات .. وكان الرافعى يعلم حق العلم أن الاستعمار التركى قد أساء الى مصر كما اساء الى السودان وان الاستعمار البريطانى قد عمل على تشويه الوجود المصرى فى السودان . ومما قاله الرافعى فى هذا الخصوص لقد ابتلينا فى مصر بحكام ينسبون الى مصر ظلما وعدوانا كما أبتلى السودان أيضا فى نفس الوقت بحكام ينسبون أيضا الى مصر ظلما وعدوانا وكان من رأى الرافعى — وكان يكرره باستمرار — ان انجلترا يجب ان تخرج من مصر ، ومن السودان ، ويترك لأبناء النيل وحدهم بناء دولتهم دون تدخل أو وصاية من بريطانيا التى لا تستهدف الا اضعاف كل من القطرين وتوسيع الشقة بين الاخرين » ولا يتسع المجال — فى هذا الفصل — للاحاطة بما كتبه الرافعى عن السودان فالمقالات كثيرة ومتعددة عن السودان والسياسة الانجليزية فى السودان وما صنعته الحكومة البريطانية فى السودان ، وكان الرافعى الى جانب اهتمامه بالمقالات التى كان يكتبها بقلمه عن السودان يعطى أخبار السودان وحركاته الوطنية وانتفاضاته الشعبية التى كانت تقوم بين حين وآخر أهمية كبرى فى الصحف التى كان يصدرها .

وفى الدراسات العديدة التى كتبها الرافعى عن الدستور

مقالات متنوعة عن السودان ومما قاله الرافعي في هذه المقالات :
لقد كان من حق الشعب الفاطن فى مصر والسودان ان يقرر مصيره بنفسه بدون تدخل اية دولة اجنبية وان يضع لوادى النيل من منبعه الى مصبه ما يشاء من الانظمة .

وكتب الرافعى فى ٦-١١-١٩٢٣ يقول : لقد شغل الوزراء كثيرا بمسائل الترقيات والتعيينات وزيادة المرتبات وافرطوا فى حضور الولائم والمآدب وسوا ان هناك مصالح وطنية يجب السهر عليها وان الاهتمام بالسودان أعود على البلاد من حضور مادبة الاسطول البريطانى . وواصل الرافعى دفاعه عن السودان وهجومه على الاستعمار البريطانى هناك وتتبع أخبار الحركة الوطنية السودانية ، وعندما اعتقل البطل السودانى على عبد اللطيف نادى الرافعى فى ٢٨-٦-١٩٢٤ بارسال محامين مصريين متطوعين للدفاع عنه وطلب من الوزارة تسهيل مهمة السفر لهؤلاء المحامين ليتمكنوا من القيام بواجبهم الوطنى والقانونى .

وفى كلمات مختصرة كان الرافعى يؤمن بحق الشعوب ، كل الشعوب ، فى الحرية والاستقلال والتخلص من الحكومات الاستبدادية .. كان يؤمن بحرية الشعب اى شعب فى الثورة ضد اى ظلم يقع عليه وكان فى مقالاته العديدة يحتفى بذكرى الثورات الشعبية ويعطى اهمية خاصه للثورات التى قامت فى عصره .

معارك صحفية

كان أمين الرافعى مسالما للغاية غير انه كان ينقلب الى العكس اذا اعتقد للحظة ما ان الصالح العام فى خطر من قريب أو بعيد وقد اشرنا فيما سبق الى بعض المعارك التى خاضها الرافعى ضد الشيخ على يوسف — وكان وقتئذ من كبار رجال السياسة والصحافة بينما لم يكن الرافعى قد انهى بعد دراسته فى مدرسة الحقوق الخديوية ونشير فى هذا الفصل الى بعض معارك الرافعى ونسميها تجاوزا بالمعارك لأن الرافعى كان يدخلها مدعما بكل أسلحته ويخوضها بكل ما يملك من قوة وعنف .. دخل فى سبتمبر ١٩١١ معركة مع حزب الامة ومع صحيفة الجريدة ردا على مقال كان الاستاذ احمد لطفى السيد قد كتبه وأشار فيه الى حزب الأمة قائلا انه ليس حزب شعب ولا حزب جماعات . وقال الرافعى : كأن جماعات الشعب أحقر من أن تنضم تحت لواء حزب الامة . لقد فات الاستاذ لطفى السيد أن هذه الجماعات هى عدة الامم وذخيرتها . وهى التى قوضت العروش وانتزعت التيجان من فوق الرءوس وهى التى قضت على السلطات الغاصبة فى كل العصور ، وهى التى قلبت أوربا راسا على عقب فأبدلت حكم الفرد بحكم الأمة وهى التى اذا ارادت أمرا كانت ارادتها صحيحة لم يقف فى وجهها أغنياء ولا أشراف . وحول ما قاله

لطفى السيد من اننا نعتقد انه لكى يحق لانجلترا أن تتخلى عن مصر لا بد من أن تتوافر شروط مخصوصة تلك الشروط التى تآلف حزب الامة لتحقيقها وان سياستنا لم تتغير انها ترمى الى تحقيق غرض واحد وعظيم هو ان يحصل المصريون على المجلس النيابى الذى نجد جميعا للوصـــول اليه بكل قلوبنــــا . حول ذلك قال الرافعى « ان هذا القول يظهر قائلة فى مظهر الذى يريد أن يكون انجليزيا اكثر من الانجليز انفسهم ان الامة كلها تطالب بالجـلاء العاجل وترى سعادتها فى هذا الجلاء فما معنى وضع شروط له من جانب المصريين » ويدخل فى معركة عنيفة مع اسماعيل اباظة باشا بعد ان اشاد به وبوطنيتهأكثر منمرة ويقولالرافعىان مدحنا اياه فى بعض المواقف المحمودة لا يمنعنا من ذمه اذا فعل مايستحق الذم وهذا يدل على اننا لاننظر الى نفس الشخص وانما ننظر الى عمله فان أحسن أطربناه وان أساء تقدناه . وأشار الرافعى فى نقده لاسماعيل اباظة باشا الى اعتذاره عن قبول عضوية مجلس ادارة جمعيةالسلامبحجة ان له مصالح خصوصية كثيرة واذا ظهرفىمثل هذا العمل حاربه الانجليز وأضروا بمصالحه الخصوصية » ورد مرة اخرى على ما قاله اباظه باشا بأن الحزب الوطنى ما هو الا قوة معنوية وكل ما لديه من تلك القوة القلم واللسان . ويسال الرافعى اباظه باشا أن يذكر له اسم حزب من أحـزاب أوربا له جيش ومدافع وحراب تنفذ أوامره وهل يستطيع اباظة باشا ان ينكر قوة القلم واللسان وأثرهما فى جميع الانقلابات التى حدثت منذ خلق العالم الى الان . ثم يقول الرافعى : ان قوة الاحـزاب فى تضامنها واحتفاظ اعضائها بعقيدتهم فاذا كانت تلك العقيـدة قوية ثابتة تدفع الشخص الى تضحية مصالحه الشخصية وعدم الالتجاء الى اعداء البلاد وكان الحزب قويا تبعـــا لتلك العقيدة فالعقيدة اذا تمكنت من النفوس استطاعت أن تهزم كل قوة تقف فى سبيلها وزلزلت الارض ومن عليها . وقال الرافعى « لقد انقضى ذلك الزمن الذى كانت المصلحة تقاس فيه بالثروة وتقدر بالغدادين

من الارض وأصبح كل فرد من أفراد الشعب له مصلحة تعادل مصلحة أكبر الناس جـاها وأعظمهم ثروة فالبـلاد ليست بلاد الأغنياء وحدهم وانما هى بلاد الشعب بأسره » .

ويقول الرافعى معللا كثرة دخـوله مع بعض السياسيين فى معارك « لسنا من عشاق الانتقاد فى المسائل السياسية وانما نحن نلج هذا الباب مع خصومنا السياسيين مضطرين لا طائعين لاننـا كنا نود ولا نزال نأمل ان تكون الامة كلها يدا واحدة ضد الاحتلال تنفق جميع مجهوداتنا على هذا الغرض ولا تفقد جزءا منهـا فى تنفيذ آراء الذين يتبعون سياسة لا تنفع الامة والبلاد . « وفيما يلى احدى معارك امين الرافعى :

تنشر الاخبار فى ١٩٢٣ للرافعى كلمة عن فظائع الاستعمار الفرسى فى المغرب العربى تروى قصة رجل علق جسمه فى سقف وراح اثنان من الفرنسيين يتبادلان ضربه بكل قوة وعنف بسوطين طويلين فيكتب اليه أحد أصدقائه قائلا : لا تحزن على ما يجرى فى المغرب العربى على يد الاستعمار الفرسى ففى مصر الكثير من هذه المآسى ويروى صاحب الرسالة قصة زوجة موظف انجليزى يسكن أمامه رات سجينا يأكل طماطمة ملقاة على الارض فأمرت الاومبـاشى الحارس بضربه بالـكرباج الخ .. وينشر الرافعى الواقعة فى الاخبار ١٥ـ١ـ١٩٢٣ طالبا من الحكومة التحقيق لان مهمة الصحفى ـ كما قال الرافعى ـ تقضى عليه الا يقف جامدا امام اية مظلمة ولا سيما اذا كان راويها موثوقا منه وعند هذا تنتهى مهمة الصحفى وتبدأ مهمة الحكومة وهى الكشف عن الحقيقـة . ويستدعى الرافعى للتحقيق ويسأل عما ورد فى الرسالة فيجيب بأنه واثق من صدق الكاتب الذى بعث برسالته اليه وان على الحكومة ان تحقق ما تضمنته المقالة من الوقائع ويذكر للمحقق ـ مساعدة له ـ الجهة التى وقع فيها الحادث ويسأل الرافعى عن كاتب المقالة فيرفض بتاتا أن يذكر اسمه لان ذكره ـ كما جاء فى محضر التحقيق مع الرافعى ـ مخالف لشرف الصحفى ، ومناقض

لابسط واجبات المهنة الصحفية وما دام صاحب الجريدة قد نشر شيئا بغير توقيع صريح فلا يجوز مطالبته باظهار صاحب التوقيع . ويسمح للرافعى بالانصراف وبعد أيام طلب الى الرافعى أن يتجه الى المحافظة وفى المحافظة سلم ثلاث صور من المستند التالى وقد كتب باللغة الانجليزية : فى النية محاكمة امين بك الرافعى محرر الاخبار أمام محكمة عسكرية بما يأتى : التهمة الأولى مخالفته الاحكام العرفية وذلك بأن نشر خبرا من شأنه ان يحدث الفزع والقلق بين المدنيين وطبقة منهم بان نشر فى اليوم الخامس عشر من يناير سنة ١٩٢٣ بجريدة الاخبار الخطاب التالى . وتنشر عريضة الاتهام الخطاب الذى نشرنه الاخبار وفيه طلب من مدير الاخبار الى المصريين أن يحتجوا على فرنسا على صنع بعض أفرادها فى تونس فأسمع ما جرى هنا فى مصر منذ ايام آكل مسجون من المساجين الذين يخدمون فى حديقة احد الموظفين الانجليز (والحديقة والدار للحكومة) طماطمة واحدة ملقاه فما كان من السيده زوجة الموظف الانجليزى وقد رات المسجون الا ان امرت الاومباشى الحارس ان يظل يضرب المسجون بالكرباج حتى تكلفه أن يكف فألهبه بسوطه الى أن شبعت من المنظر وأشارت له بالكف ، وتنتهى الرسالة بكلمة من صاحبها « متألما » بأن الحالة فى مصر افظع منها فى تونس والجنس اللطيف هنا من اولئك القوم صار قلبه بهذا الشكل . اما التهمة الثانية التى قدم بسببها الرافعى الى المحاكمة العسكرية بناء على عريضة الاتهام ـ فهى مخالفته قانون مصرى ، وذلك بأنه يبيع وبوزع ويحفظ للبيع فى محل عمومى ـ هكذا فى الاصل ـ مادة مطبوعة من شأنها اثارة احساسات الاحتقار أو البغض لطبقة من الاشخاص وذلك بأن نشر الرسالة السالفة الذكر بجريدة الاخبار وهذه مخالفة لنصوص المادتين ١٤٨ ، ١٥٣ من قانون العقوبات الأهلى المصرى وبكون التوقيع : عن مدير القسم المخصوص هيو . و . هلمر بيه . ويتسلم الرافعى المستند ويطلب اليه الحضور الى

القسم المخصوص ويقول الرافعي : لا ندرى مسوغا لمحاكمتنا أمام محكمه عسكرية على امور يدهبون الى انها واقعه تحت طائلة القانون المصرى فان لهذا القانون محاكم اهليه تطبقه على كل من يرتكب امورا تقع تحت طائلته ، فلماذا يتخطون هذه المحاكم القائمة بعملها ويلجأون الى المحاكم العسكريه واغرب من كل ذلك أن يتم هذا التخطى فى العهد الذي يسمونه بالاستقلال وفى العصر الذى يقولون فيه ان الانجليز تركوا للمصريين شئونهم . ونشور الصحافة المصرية ـ بل الاجنبية فى مصر ـ لمحاكمة الرافعى محاكمة عسكرية وتقول صحيفة الليبرتيه « ان امين الرافعى من الصحفيين الذى تفخر بهم مهنتنا لسمو آرائه وتزاهه أسلوبه ويتصف دائما بالصدق والصواب ان امين الرافعى يشغل مكانا فى الصف الاول من كبراء هذه البلاد بحيث لا يسلم احد بانه فى الامكان ان يكون مهيجا » وتقول الجازيت « انه رجل ذو مبادىء ثابتة وقد كان أنصار الوزارات السابقة يصفونه دائما بأنه خصم شريف وهو ينتقد كل وزارة تسىء الى مصر وقضية مصر » وتبذل سلطات الاحتلال البريطانى جهودا كبيرة لمعرفة كاتب الرسالة التى نشرها الرافعى ليقينها بأن الرافعى لا يمكن ان يصطنع هذه الرسالة ويحاول كثير من أصدقاء الرافعى وقد راوا سلطات الاحتلال جادة فى محاكمته عسكريا أن يقبل الرافعى البوح باسم صاحب الرسالة ويرفض الرافعى رفضا باتا مفضلا السجن بل الموت على ان يخل بشرف المهنة ويكتب الرافعى فى الاخبار : « لسنا أول من قدم للمحاكمة العسكرية حتى فى عهد الاستقلال ولسنا اول من سخطت عليهم الوزارة لانهم يقولون لها الحق فى وجهها ولسنا أول من يتخذونه دليلا على ان سياسة الشدة لا تجدى نفعا ولسنا أول القائلين بأن المبادىء التى اختلطت بعظم الانسان ولحمه ودمه لا يمكن أن تضعف أو تتلاشى او تتغير أمام تدابير القوة ووسائل الاعنات » . ويختم كلمته بقوله تعالى « أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم

مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه ألا نصر الله الا ان نصر الله قريب » ٣١-١-١٩٢٢ ، ويثار موضوع الطماطمة هذه فى سبتمبر سنة ١٩٢٤ وكان الذى اثاره الاستاذ عباس محمود العقاد وكان قد دخل فى معركة مع الرافعى بسبب موقف الرافعى من وزارة الشعب التى كان يؤيدها العقاد وقد عثرت على نص الخطاب الذى ارسل الى الرافعى والذى نشره فى الاخبار فى منتصف ينـاير سنة ١٩٢٣ كما عثرت على خطاب آخر لصاحب هذه الرسالة قال فيه « كأنما فرغت مصر من متاعبها وعاد قادتها وكتابها يصـفون ما بينهم من الحساب فرجعوا الى احقر الاشياء حقا لست أقدر أن أدخل فى نزاع بين الاخبار والبلاغ فأسلم عرضى لاسنة الاقلام وحقـا مـرة أخرى لست ابيح اسمى لينشر لا لانى جبان فلقد كتبت للاستـاذ امين بك حين حوكم ليبـوح باسمى أو أبوح أنا به وأتولى عنه فـكان يكتب الى بشجاعة بأنه يأبى أن يبوح أو ابوح انا باسمى واذا كان المراد اقناع الأستاذ العقاد فأنا مستعد ان أقابله شخصيا وأقنعـه بما يرضى ، وينهى صاحب الرسالة رسالته بقوله : انى لا اريد الإن اقلاق راحة عائلة بلا فـائدة ولا جـدوى انى ما اظن مصريا يصم امين بك بالجبن حتى يحتـاج الى الشـهود والادلة على شجاعته فلا يحتاج النهار الى دليل » . ويقول صاحب الرسالة فى حاشية له موجهة الى امين الرافعى « مررت عليك كوعدى فلم أجدكم وكنت فى حاجة للاستاذ المازنى لاخذ المقالة ولضيق وقتى سافرت للمنصورة وكتبت هذا وانا فى منتهى التعب » .

كان الرافعى قد فاجأ الراى العام بنبأ عودة الشيخ جاويش الى مصر وطالب الحكومة بعدم التعرض له وتقوم قيامة صـحف الوفد ضد أمين الرافعى وضد الشيخ عبد العزيز جاويش وكانت معظم المقالات التى نشرتها الصحف الوفدية تتسم بالعنف وخاصة تلك التى كتبها كاتب مقنع رفض أن يذكر اسمه ، ومما قاله أمين الرافعى فى هذا الخصوص « ان الحرية اذا انتهكت وجب على كل

وطنى ان يدافع عنها وأن يتسى فى سبيل هذا الدفاع كل خصومة وكل حقد وكل ضراوه لاننا اذا كنا نتحلى عن واجب الدفاع عن الحرية لان المعتدى عليه من خصومنا كان معنى هذا ان الحرية ليست حقا للجميع وانما هى من نصيب فريق دون فريق آخر وفى هذا هدم لأقدس مبدا ترتكز عليه حياة الشعوب أضف الى ذلك ان الذين يشمتون اليوم بخصمهم لانه مسلوب الحرية لم يأخذوا على الدهر عهدا بأن تظل حريتهم مصونة الى الابد .. ان الحرية حق للجميع فيجب ان نطلبها لانفسنا وخصومنا وأن نعمل على احترامها وان نناوىء كل من تحدثه نفسه بالاعتداء عليها لا أن نحبذ ذلك الاعتداء اذا كان واقعا على اى خصم من الخصوم ويذهب الرافعى الى يحيى ابراهيم باشا رئيس الوزراء ويتحدث اليه فى موقف الحكومة طالبا منه عدم التعرض للشيخ جاويش اذا ظهر ويوافق رئيس الوزراء ويدعو الشيخ جاويش لمقابلته ويجىء الشيخ جاويش من الاسكندرية الى القاهرة بعد نداء وجهه اليه الرافعى على صفحات الاخبار ويقابل رئيس الوزراء الشيخ جاويش وأمين الرافعى ويحمد الله امين الرافعى على أن الدسائس التى ارادها بعض خصوم الاستاذ قد اصابها الفشل المحقق . لقد ظهر ان العاطفة الوطنية متغلغلة فى النفوس وان فكرة الاتحاد قد ارتكزت على اقوى أساس فأصبح الباطل لا يأتيها من بين يديها ولا من خلفها » . وينتهز الرافعى هذه الفرصة فيكتب فى ٢٠-١٢-٢٣ عن الخصومة السياسية وكيف يجب أن تكون شريفة لا تتعدى تمحيص الاراء المخالفة وتفنيدها وبيان أضرارها ان كان لها اضرار ويتساءل الرافعى هل من شرف الصحافة ان يستعمل كاتب قلمه فى محاربة خصم يذود عن حريته ويدافع عن نفسه ويسعى فى أن يتمتع بما له من حق كفلته له القوانين العامة وهو العودة الى الوطن » ثم يقول : « الم يكن من الواجب الصحفى أن تدافعوا عن حرية الخصم وعن حقوقه الوطنية حتى تعود اليه ثم تفعلوا به بعد ذلك ما تشاءون » .

ويدخل الرافعي في معركة من أعنف المعارك التي خاضها في حياته ضد حسين رشدي رئيس الوزراء المصري أثناء الحرب العالمية الاولى وكانت بعض الصحف قد نشرت اثر وفاة اسماعيل اباظه باشا بعض صفحات من مذكراته ورأى رشدي باشا أن يصحح بعض ما جاء في هذه المذكرات حول موقفه من اعلان الحماية وخلع الخديو عباس حلمي الثاني ورأى الرافعي ان يرد على رشدي باشا ويفند حججه الواحدة بعد الاخرى .

ويرسل رشدي باشا الى امين الرافعي الخطاب التالي — ٢٥ مارس سنة ١٩٢ — « سيدي مدير الاخبار : آثرتم ما طواه الماضي لمجرد قصد الاساءة الى احاديث قديمة صدرت مني في بعض الجرائد فبفرض أني راجعت هذه الاحاديث قبل نشرها وانه لم يحشر فيها بعض الاضافات فانها انما كانت من مستلزمات الخطة السياسية التي كنت رسمتها لنفسي لمصلحة البلاد فانني كنت اعتقد أن مصلحة مصر تقضي بأن تتجنب البلاد كل عدوان للانجليز بل ان تقدم على مساعدتهم وتعلمون انتم حق العلم ان الذي دفعني الى هذه التصريحات هو تلك الخطة السياسية تعلمون ذلك لانني سبق ان نشرت تفاصيل الامر في الجرائد ، حسن ومفيد أن يوجد في البلاد حزب متطرف ولكن التطرف السياسي لم يخلق ياسيدي لهدم الرجال الذين يعول عليهم في خدمة البلاد فهل مصر غنية بهؤلاء الرجال الى درجة تجعل شغلكم الشاغل هدم أمثالي مهما قل في الماضي مقدار نصيبي في خدمة البلاد ومهما قل في المستقبل الامل فيه فان كنتم تعتقدون حقا أن مصلحة البلاد تقضي بهدمي فأريحوا أنفسكم من هذا العناء فان الموت كفيل بتخليصكم مني قريبا اما عن الثلاثة الملايين التي قدمتها للانجليز رغم معارضتهم فاني آخذ على نفسي بكل ارتياح مسئولية ذلك امام التاريخ » ويرد الرافعي على خطاب رشدي باشا بقوله : ونحن نقول لدولة رشدي باشا انه اخطأ فهم

ما نقصده من الرد عليه فلا نحن نرمي الى الاساءة أليه كما أن من ابعد ما يدور بخلدنا ان نهدمه أو نهدم غيره وانما الامر اهون من ذلك بكثير . لقد نزل رشدى باشا الى ميـــدان المساجلة والبحث ونشر ما انطوى من صحف التاريخ فهل يظن دولتــه أن موقفه هذا لا يستلزم اخذا وردا ولا يستتبع مناقشة وتمحيصا ؟ أم يريد دولته أن يقف الكتاب مكتوفى الايدى حيال ما ينشره ولو كانت هنـــاك نقط تســتوجب ردا أو تتطلب ايضاحا ؟

ثم يقول الرافعي بفيت فكرة الهدم التى ينسبها الينا رشــدى باشا ونحن نسأل الله ان يغفر له مارمانا به فى هذا الصدد فاننـــا لا نبغى هـــــدم احـــد وانمـــا نبغى تقـــرير الحقيقـــــة ، والانتقـــاد شيء والهـــــدم شيء آخـــر يادولـــــة الباشـــــــا ، وتقرير الحقائق وحريه مناقشه الآراء أمران لا يحملان على أى محمل سيىء . اما الموت الذى تحدث عنه دولة رشدى باشا فلم يكن لذكره محل فى مثل هذه المناقشة ونحن جميعا امام الموت سواء وغنى عن البيان اننا مهما اختلفنا مع دولة رشدى باشا فى الآراء أو فى تقرير الحقائق فان ذلك لا يمنعنا مطلقا من أن ندعو له بالصحة والعافية وطول البقاء اننا لا نعرف فى خلافنا السياسى مع أى انسان عداء شخصيا ولا نضمر أى حقد لاحد وانما نحن نكتب عن الفكرة مجردة عن شخصية أصحابها ولا نبغى سوى الوصول الى الحقيقة التى نرجو ان نوفق لخدمتها . والله على ما نقول شهيد .

وقد دخل الرافعى فى معارك عنيفة مع الحكومة المصرية دفاعا عن حرية كثير من الزعماء العرب : احتجت الحكومة الابطالية ايام حكومة سعد على وجود بعض الزعماء الطرابلسيين فى القاهرة وطلبت اعتقالهم وتسليمهم للحكومة الابطالية وأعلن الرافعى ثورة عارمة ضد الحكومة لأنها وقفت موقفا متخاذلا من هؤلاء الزعمـــاء وعندما ثار الرأى ووقف الى جانب هؤلاء الزعماء لم تشأ الحكومة تسليمهم وانما طلبت منهم مغادرة مصر واعتمد الرافعى على النص

الوارد فى برقية لوكالة استيفانى الايطالية الشبيهة بالرسمية ـ حيث جاءت عبارة الطرد ، وسل الرافعى قلمه وهاجم الحكومة هجوما مرا قائلا : ان ماحدث لم يكن سوى معنى الطرد وهذا ما يراه ماسا بكرامة مصر وعزتها القومية فضلا عن مجافاته للقوانين والعادات المرعية . وعندما أصــدرت الحكوة أمرا بابعاد الزعيم الســورى الكبير عبد الرحمن شهبندر بناء على تدخل من الحكومة الفرنسية احتج الرافعى فى مقالات عديدة على هذا الابعاد وقال فى بعض هذه المقالات ليس الدكتور شهبندر بالرجل المنكور القدر او المجهول الجاه ولقد كان فى العراق فقوبل من ملكه ووزرائه ونوابه باعظم مظـــاهر التبجيل والتكريم ولما زار مجلس النواب العراقى حياه النواب وهو جالس فى شرفات كبار الزائرين وهتفوا له اما فى مصر المعروفة باكرام ضيوفها والتى يتسع صدرها حتى للجناة الوافدين عليها من الغرب فانه يطرد منها ولا تحتمل حكومتها ان يقيم أياما فيها لا عذر للحكومة فى تصرفها المقوت حيال هذا الزعيم السورى ان ابعاده ينافى ابسط قواعد الانسانية ويصم مصر بأقبح سمعة فى جميع بلاد الشرق ويظهر الحكومة المصرية بانها آلة فى يد الغير فعلى الحكومة ان تعدل عن هذا التصرف المعيب وان تسمح لهذا الزعيم بالبقاء فى مصر كما يشاء ولعلنا نسمع غدا فى مجلس النواب اصواتا تدافع عن سمعة مصر وكرامتها وتحمل الحكومة على سحب قرارها الاستبدادى الضار بالكرامة القومية (٢٧/٥/١٥) وتكون آخر معارك الرافعى وأرقها تلك التى كانت بينه وبين زميله وصديقه الاستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى وكان قد انتقل الى العمل فى جريدة الاتحاد عندما عتب المازنى على الاخبار لانها نسبت الى حزب الاتحاد محاربة الدستور .

الرافعى وتمثال نهضة مصر

كانت القضية المصرية تشغل باستمرار عقل الرافعى وقلبه والى جانب ذلك كانت له اهتمامات عديده بالقضايا الاجتماعية والاقتصاديه والدينية فلم يكن الرافعى مجرد كاتب سياسى أو زعيم وطنى فحسب بل كان فى الوقت ذاته كاتبا يهتم بالمسائل الاقتصادية والاجتماعية والدينية كان له دور بارز فى التنظيمات النقابية كما كان له دور هام فى اخراج مشروع تمثال نهضة مصر ووضعه فى ميدان المحطة بالقاهرة ..

نترك المجال للاستاذ بدر الدين ابو غازى وزير الثقافة السابق ومؤرخ حياة فناننا «مختار» وابن شقيقته ليروى قصة تمثال نهضة مصر يقول : أولى صلات مصر بالتمثال جاء من جريدة الاخبار التى كان يصدرها المرحوم امين الرافعى ومن خلال مقالة من اربع مقالات نشرتها للاستاذ مجد الدين حفنى ناصف الذى كان يدرس بباريس ومن خلال هذه المقالات جاء التعريف الأول بالتمثال وقد انطوى المقال الأخير على اشارات الى أهمية العناية بالفن وضرورة انشاء المتاحف والى ضرورة اقتناء تمثال مختار بمعرفة البلديات ووضعه فى ميدان عظيم من كل بلد ..، وكان الوفد المصرى برياسة سعد زغلول قد سافر الى باريس للدعوة للقضية المصرية فتعرف اعضاء الوفد على مختار ووقفوا على جهوده

وشهدوا تمثاله قبل أن يعرضه فلما نشر مجد الدين حفنى ناصف مقالاته اعقبه الدكتور حافظ عفيفى وكان ضمن أعضاء الوفد الذين وقفوا على جهود مختار بباريس فكتب يقترح على المرحـــوم أمين الرافعى ان تقوم جريدة الاخبار بالدعوة لاكتتاب عام لاقامة تمثال مختار فى أحد ميادين العاصمة ورحب المرحوم امين الرافعى بالفكره ونشر فى اليوم التالى نداء الاكتتاب تحت عنوان " نهضة مصر دعوة الى الامه المصريه واثار البعض المخاوف من أن تعترض الحكومه على اقامة التمثال فرد المرحوم حافظ عفيفى بأن التمثال رمز يمثل الفلاحه وأبا الهول ولا يعقل ان ترفض حكومة اقامة مثل هذا التمثال وساند الفكرة من اعضاء الوفد المصرى المرحومان ويصا واصف وواصف غالى فنشر الاول مقالا مسهبا تحت عنــوان محمود مختار والنهضة الفنية فى مصر ، ونشر الثانى مقالا تحت عنوان واجبنا نحو مختار . وبدات حركة الاكتتاب وكانت الانباء قد حملت خبر قبول التمثال فى المعرض وتمييز لجنة التحكيم له ضمن ٦٠ تمثالا قدمت للمعرض ومنح مختار شهادة شرف من المعرض لأن الجوائز الأخرى حجزت للفنانين الفرنسيين العائدين من الحرب وعلى هذه الانغام ـ مقالات الصحف الأجنبية كالفيجارو والستراسيون والكان والمجلة الحديثة للفنون عن مختار ـ نشط الاكتتاب وارتفعت الحماســة . جمــوع صغار العمـــال والباعة الجائلين وتلاميذ صغار يبعثون برسائل تفيض بالحماسة ومعها قرش هى كل مدخراتهم ، سيدات يهدين حليهن من اجل اقامة التمثال ومع هذه الرسائل كلمات وقصائد من الشعب صيغت من حماسة الناس وكلها دعوة للتمثال ووصل هذا التيار الى جموع الفلاحين فأخذت التبرعات تصل من جــوف الكفور الى جريدة الاخبار وهكذا ارتفع التمثال الى قداسة الفكرة الوطنية وتحقق بذلك الاتصال بين الفن والحركة القومية ..

وقد وجــدت ضمن مخلفات الرافعى التى تســلمناها من استاذنا عبد الرحمن الرافعى مجموعة من الوثائق الخاصة بتمثال

نهضة مصر . منها خطاب أرسله فى ٨ مايو ١٩٢١ الى عدلى يكن باشا رئيس الوزارة يقول فيه . سبق ان قدمنا طلبا الى دولتكم نرجو فيه صدور ـ الأمر للتصريح باقامة تمثال نهضة مصر من صنع الحفار الاستاذ مختار فى ميدان المحطة بالقاهرة حيث انه هو المكان الوحـــيد الذى يصلح له وحيث أن الضـرورة تقضى بمباشرة هـذا العمـل في أقرب وقت لأن العمـال اللازمين قد استحضروا من اوربا وهم باقون من غير عمل وليس من الميسور أن تبدأ أعمالهم الا فى نفس المكان الذى ينشأ عليه التمثال وهذا بالنظر لأرتفاعه وعظم حجمه ولاتقاء نفقات النقل واخطاره فيما لو صنع فى غير المكان المعد له من قبل فيكون رجاؤنا الى دولتكم صدور الأمر لحصولنا على هذا التصريح وان شكرنا ليتضـاعف لدولتكم اذا صدرت هـذه الأوامر فى اقـرب وقت ممكن حتى لا يزداد تعطيل العمال اكثر مما هو الآن .. وخطاب آخر ارسله الرافعى فى ١٢ اغسطس سنة ١٩٢٣ الى رئيس الوزراء يقول فيه سبق لى أن تشرفت بمحادثة دولتكم بشأن تمثال نهضة مصر الذى قررت وزارة دولة عـدلى باشا اقامته فى ميـدان محطة القاهره ثم تلتها وزارة دولة ثروت باشا فاعانت المشروع ماليـا بمبلغ قدره ثلاثة آلاف من الجنيهات فالحاقا بالحـديث المذكور احيط دولتكم علما بأن المبلغ الذى قدمته الحكومة سابقا قد نفد وبيان حسـابه عند حضرة صاحب العزة فؤاد سـلطان بك أمين صـندوق التمثال نقـدمه الى دولتكم بمجرد الطلب كما قـدمنا للحكومة سابقا حساب المبالغ التى جمعت من طريق الاكتتاب . ولقد اصبح التمثال على وشك أن يتم ولكن اتمامه يحتاج الى معونة اخرى قدرها ٢٥١٠ جنيه على وجه التقريب فرجائى الذى اتشرف بعرضه على دولتكم هو (أولا) ان تتولى الحكومة وضع القاعدة التى سيقام عليها التمثال وانا مستعد لتقديم كل الرسوم والمعلومات الفنية التى اعددتها لوضع القاعدة على النمط الملائم للتمثال وساشارك المهندس الذى تكل اليه الحكومة القيام بهذه

المهمة فيما يقتضيه العمل من وجهته الفنية . (ثانيا) أن تتكرم دولتكم بتقرير ما ترونه بشأن مبلغ الالفين والخمسمائة من الجنيهات التى يحتاج اليها اتمام التمثال نفسه خصوصا وقد نفذ مبلغ الاعانة التى قررتها الحكومة سابقة مع استمرارنا فى العمل حتى اليوم ومع النفقات الشهرية التى تبلغ ما يزيد على اربعمائة من الجنيهات وهى مرتبات العمال أثمان المواد اللازمة للعمل . هذا واللجنة على أتم استعداد لأن تقبل اشراف الحكومة على ما بقى من الأعمال كما عرضنا ذلك على الحكومة السابقة وتقبلوا يا صاحب الدولة مزيد أجلالى واخلاصى .. وخطاب آخر من الرافعى الى رئيس الوزراء بتاريخ ٢٠ نوفمبر ١٩٢٣ يقول فيه اتشرف بان ارفع الى دولتكم حسابا تفصيليا من حضرة صاحب العزة فؤاد سلطان بك أمين صندوق تمثال نهضة مصر مستخرجا من دفاتر لجنة التمثال كطلب وزارة المالية عن مبلغ الالفين وخمسمائة جنيه التى طلبتها بوجه التقريب لاتمام التمثال وكنت قدمت الى دولتكم بتاريخ ١٢ أغسطس سنة ١٩٢٣ بيانا مثل هذا راجيا اعتماد صرف هذا المبلغ ليتسنى لى أتمام هذا العمل الوطنى بالسرعة التى تكفلها وجود النقدية محددا مبلغ الالفين وخمسمائة جنيه بأقل ما يمكن تقديره لانجاز هذا العمل الجسيم ولقد مر للآن زهاء الثلاثة اشهر دون البت فى صرف هذا المبلغ مما ترتب عليه زيادة فى النفقات وتعطيل فى الأعمال وما كان يتطلبه العمل من شراء الادوات الضرورية وغيرها فترون دولتكم من البيان المذكور مقدار المبالغ الجسيمة التى يكلفها عمل التمثال خصوصا وقد عاينتم دولتكم شخصيا وكذلك حضرة صاحب المعالى وزير الاشغال وحضرتا صاحب السعادة وكيل الخارجية ووكيل الاشغال وغيرهم الاعمال الشاقة التى تمت الى اليوم ما برحنا منذ نصب معين اعانتنا من مزاولتها ولا يخفى على دولتكم أن كل تأخير فى صرف هذا المبلغ يكلف من الزمن والمال اكثر مما قدر له لاتمام هذا التمثال اذ يترتب على التأخير زيادة المصاريف لذلك ارجو

من دولتكم اعتماد صرف المبلغ ٠٠ ويخطو المشروع خطوة كبيرة في ايام وزارة الشعب حيث ينجح ويصا واصف في الحصول على قرار من مجلس النواب بفتح اعتماد بمبلغ ١٢٫٠٠٠ لمواجهة نفقات اقامة التمثال (يوليو ١٩٢٤) وتتلكأ الحكومة في العمل بحجة النظر في تعديل موضع التمثال في أعقاب اقالة الوزارة الشعبية ويكتب الرافعي في ١٤ - ٤ - ١٩٢٥ يقول : اصدرت وزارة الاشغال قرارا غريبا فيما يتعلق بتمثال نهضة مصر وحكاية هذا التمثال تتلخص في أن الاستاذ محمود مختار صنعه ليكون رمزا لنهضة مصر ثم عرضه في معرض باريس فنال تقدير المحكمين الذين منحوه الجائزة الجديرة به هنالك نبتت في مصر فكرة أقامة التمثال في مصر وفتحت الأخبار باب الاكتتاب الشعبي لتنفيذ هذا المشروع فبلغ ما جمعته نحو ستة آلاف جنيه ولم يقف الأمر عند اشتراك الشعب في هذا العمل بل ان الحكومة نفسها اشتركت فيه بمختلف الوسائل فقد طلبت لجنة التمثال من وزارة دولة عدلي باشا اقامة هذا التمثال في ميدان باب الحديد وكان دولة ثروت باشا نائبا لرئيس مجلس الوزراء في ذلك الوقت فلم تتردد الحكومة في اجابة هذا الطلب فشكرتها اللجنة على ذلك بكتاب ارسله سعادة عبد الخالق باشا مدكور ٠ فرد عليه دولة ثروت باشا بقوله : « ان ما ابديتموه بكتابكم الخاص بشكر الحكومة على ما قررته من اقامة تمثال نهضة مصر في ميدان باب الحديد بالقاهرة كان له اجمل وقع وأحسن أثر وان الحكومة لا تدخر وسعا في تشجيع الأعمال والمشروعات العامة الناهضة بالبلد الى الرقي العلمي والفني » ٠٠ ثم تولى اشتراك الوزارات الأخرى في هذا العمل ففي عهد وزارة ، دولة يحيى باشا ابراهيم تقرر ان تقوم الحكومة بنفقات نقل احجار التمثال من اسوان الى ميدان باب الحديد والتبرع ببعض الأدوات مما بلغ مجموعه نحو ٤٥٠٠ جنيه وفي عهد وزارة دولة سعد باشا زغلول قرر البرلمان فتح اعتماد بمبلغ ١٢ الف جنيه لاتمام التمثال وكان معنى هذا

القرار الاستمرار فى العمل الى النهاية ولكن وزارة الاشغال طلعت علينا أخيرا بقرارها الغريب الذى يقضي بتأليف لجنة تفحص التمثال من جديد فاذا وافقت عليه كان لها الحق فى تقرير المكان الذى ينصب فيه .. ذلك قرار وزارة الاشغال وهو قرار ينطوى على العبث بارادة الشعب والعبث بقرارات الوزارات السابقة والعبث بقرار البرلمان المصرى نفسه فهل تملك وزارة الاشغال الحاضرة من السلطة ما تستطيع به القيام بمثل هذا العبث الشنيع وهل اتمت الوزارة كل المشروعات التى لديها فلم تجد ما تشغل به الوقت سوى هدم ما اشتركت فى بنائه الامة والحكومة معا ؟ حقا اننا لا نفهم تلك العقلية الغريبة التى أملت هذا القرار الشاذ فاننا على اى وجه نظرنا الى المسألة لا نجد اى مسوغ لذلك اللهم الا اذا كانت الاهواء وحدها هى التى يحلو لها التعطيل والهدم والتخريب من اجل ذلك نرى واجبا على وزارة الأشغال أن تعدل عن قرارها وتشتغل بما هو اجدى وانفع أما الخضوع للاهواء واما الهدم والتخريب فتلك سياسة عقيمة وظل المشروع يتلكأ طوال وزارة زيور باشا ولم يتحرك الا فى اثناء الوزارة الأئتلافية التى اهتمت بالمشروع من جديد عام ١٩٢٦ ـ ووافق البرلمان على تخصيص ثمانية الاف جنيه لاتمام التمثال وتعاقدت الوزارة مع مختار فى اغسطس سنة ١٩٢٧ على اتمام اقامة التمثال خلال ثلاثة عشر شهرا .. ولا يشهد الرافعى ازاحة الستار عن تمثال نهضة مصر الذى عمل طويلا من أجل اقامته فى هذا المكان لان ازاحة الستار عن التمثال لم يتم الا فى ٢٠ مايو ١٩٢٨ اى بعد وفاة الرافعى ببضعة اشهر ..»

من بناة نقابة الصحفيين

وعن دور الرافعي فى انشاء التنظيمات الشعبية تقول ان الرافعي منذ مطلع القرن العشرين لمصر بين قادة الحزب الوطنى قد اولى اهتماما بالغا بالتنظيمات العمالية والطلابية وقد أشرنا من قبل الى دوره فى انشاء نادى المدارس العليا الذى اختير عضوا بمجلس ادارته عن طلبة مدرسة الحقوق حتى تخرج منها فانتخب سكرتيرا له الى ان اغلقته السلطات العسكرية فى عام ١٩١٤ كما أن مقالات الرافعى عن العمال وحقوق العمال واضرابات العمال عديدة قد اختارت نقابة عمال الصنايع اليدوية وهى أهم النقابات المصرية امين الرافعى فى ١٣ ابريل سنة ١٩١٣ عضوا بمجلس ادارتها .

اما نقابة الصحفيين فقد كان الرافعى من أوائل الذين دعوا الى انشائها ، وقد اشترك فى أول اجتماع نظم لهذا الغرض فى ١٩٠٩ ، بوصفه محررا باللواء ولم يكتب النجاح لهذه الدعوة بسبب تدخل المعتمد البريطانى غير أن الرافعى حمل لواء الدعوة الى انشاء نقابة الصحفيين فى عام ١٩١٩ وبين ايدينا ونحن نكتب هذا البحث القانون الاساسى لنقابة الصحافة المصرية عام ١٩١٩ المطبوع فى مطبعة البلاد بشارع نوبار والذى وضعه أمين الرافعى .

والذين وجهوا الدعوة لانشاء نقابة الصحافة عام ١٩١٩ هم داود بركات ، سعيد على ، اسكندر رسلان ، حافظ عوض ، جورج طنوس ، وامين الرافعى ، وكان أول نقيب للصحافة هو جبرائيل تكلا — الذى انتخب عامين متتالين على أن الحكومة لم تعترف بهذهالنقابة وظلت المحاولات تبذل من جانب الصحفيين وفى مقدمتهم امين الرافعى لكى يكون للنقابة كيانها الرسمى ، غير أن الحكومات كانت دائما تقف لها بالمرصاد ثم سرى الضعف والتخاذل الى النقابة فى آخر عام ١٩٢٢ بسبب انشقاق البلاد الى سعديين وعدليين وتفتت القوى الوطنية الى أن جاءت وزارة يحيى ابراهيم وشرع يعمل فى اعداد سلسلة من القوانين الجائرة ، وفى مقدمتها قانون خاص بالصحافة وتعديل قانون العقوبات فيما يتعلق بالصحافة .. واحس الصحفيون بالخطر الذى تتعرض له المهنة فنجحت دعوة الرافعى الجديدة بتشكيل هيئة تدافع عن الصحافة والصحفيين ومن محاضر بعض جلسات اجتماعات الصحفيين وقد كتبت بخط امين الرافعى فى جلسة ٦ اكتوبر سنة ١٩٢٣ اجتمع كل من عبد القادر حمزة وحافظ عوض ورشيد رضا واميل زيدان واميل الغورى كامل وابراهيم عبد القادر المازنى ومحمود عزمى وامين الرافعى وتباحث الجميع فى حالة الصحافة الحاضرة وقرروا دعوة اصحاب الصحف اليومية بالصيغة التالية :

يجتمع أصحاب الصحف اليومية غدا (٣٠ اكتوبر) الساعة السابعة مساء فوق بار اللواء للنظر فى موقف الصحافة امام قانون المطبوعات وأمام قانون الصحافة المنتظر وقد قرروا دعوتكم لحضور الاجتماع ، فالمرجو حضوركم أو انتدات من ينوب عنكم ويكتب الرافعى بخطه جلسة هذا الاجتماع وفيه أن مستر راؤول كانفيه يعتذر ويعطى موافقته على ما يقرره الحاضرون ويعطى صوته لأمين الرافعى .

وعند افتتاح الجلسة عرض سيد بك كامل أن الدكتور حسين هيكل اعتذر عن الحضور لأن الدعوة سياسية ولا يملك تلبيتها حتى

يأخذ رأى أعضاء حزبه ، وعلى ذلك فسيد بك كامل يحضر لا عن جريده السياسة ولكن عن نفسه باعتباره صحفيا ويعرض على الهيئة مسألة تطبيق قانون المطبوعات بتعطيل الصحف والقانون الجديد الذى تشتغل الحكومة بسنه للصحافة وتقرر الهيئة أن انذار الصحف أو تعطيلها بالطريق الادارى مخالف للمبادىء الاساسية المقررة بالدستور ويقرر الصحفيون المجتمعون أن من واجبهم مطالبة الحكومة باحترام المبادىء الاساسية فى الدستور العام وعدم مخالفتها .

وبهذه المناسبة قرر المجتمعون أن اجتماعهم هذا ليس له صفة سياسية ، كما ذهب الى ذلك الدكتور حسين هيكل وبنى عليه امتناعه عن الحضور وانما هو اجتماع للمشتغلين بمهنة الصحافة للدفاع عن حقوقهم ورفع كل حيف يقع عليهم .. وقررت الهيئة مطالبه الحكومة أصليا بعدم وضع قانون للصحافة الآن بانتظار انعقاد البرلمان فاذا أصرت الحكومة على سن هذا القانون الآن قبل انعقاد البرلمان فهذه الهيئة تطالبها بعرض مشروع قانونها على الصحفيين للوقوف على ملاحظاتهم عليه والعمل بها وتقرر الهيئة تكليف أمين الرافعى بكتابة قرار بهذا المعنى وتوقيعه من جميع الحاضرين ورفعه الى دولة رئيس الوزراء بواسطة أمين الرافعى وحافظ عوض والمسيو ليون كاسترو ، وتقف الاغراض الحزبية حجر عثرة أمام طريق انشاء نقابة للصحفيين ويتكون ما سمى بأسرة الصحافة .

وتحاول هذه الأسرة مرة أخرى فى ٢٦ مارس ١٩٢٥ انشاء نقابة للصحافة المصرية ويعد الرافعى مشروع القانون الجديد ويجرى العمل لتنشيط الانضمام الى هذه النقابة ودفع الاشتراكات وتوجيه الدعوة لحضور اجتماع الجمعية العمومية للنقابة فى ٢٥ مارس سنة ١٩٢٥ وتجتمع الجمعية العمومية وينتخب مجلس الادارة وتقر القانون وتسير النقابة الجديدة بخطى حثيثة وتدعى

فى نوفمبر ١٩٢٦ الجمعية العمومية للنظر فى مشروع « صندوق تعاون نقابة الصحافة العامة » ومن أغراض هذا الصندوق « الانفاق على أعضاء النقابة الذين تنزل بهم ضائقة مالية »

وتدعو النقابة الجديدة الى اضراب الصحف فى ١٦ يوليو ١٩٢٥ وتبلغ كل التنظيمات الصحفية فى العالم بهذا الاضراب الذى نجح نجاحا باهرا .

والجدير بالذكر أن نقابة الصحافة هذه كانت من المؤسسين لاتحاد الصحفيين العالمى فى ٣ يوليو سنة ١٩٢٦ وكان الدكتور محمد حسين هيكل هو ممثل الصحافة المصرية فى أول اجتماع لهذا الاتحاد .

ويتجلى اهتمام الرافعى بالصحافة والصحفيين ونقابة الصحفيين والصحافة من اجابته على الاستفتاء الذى نظمته مجلة الهلال (العدد الاول عن سنة ١٩٢٣) واشركت فيه اعلام الصحافة وأرباب الاقلام وكان مما قاله الرافعى فى الرد على أسئلة الاستفتاء :

« كل من يقدم طلبا لاصدار صحيفة وتتوافر فيه الشروط الخاصة بشرف المهنة وبالكفاءة الصحفية يجب منحه هذا الحق ليكون الصحفى كالمحامى والطبيب متى حصل على شهادة الليسانس او الدبلوم اضطرت الحكومة ان تجيز له الاشتغال بمهنته . ومن رأيى ـ محافظة على حرية الصحافة ـ ان تكون للصحافة نقابة ذات سلطة قانونية كنقابة المحامين بكون من اختصاصها وحدها الفصل فى من له حق فى مزاولة الصحافة وعلى الادارة تنفيذ قراراتها فى هذا الشأن » ـ

من شخصيات التاريخ الفذة

يمكننا القول - فى ايجاز نرجو الا يكون مخلا - بان حياة أمين الرافعى تنقسم فى جملتها الى عده مراحل تنتهى كل واحدة منها بحدث هام له أثره البالغ فى تكوين الرافعى وفى خلق شخصيته وليس معنى ذلك ابدا أن كل مرحلة من هذه المراحل منفصلة عما سبقها أو تلاها فكل مرحلة ليست سوى تمهيد للمرحلة التى تتلوها وليست سوى تكملة للمرحلة التى سبقتها بحيث تجىء تلك المراحل كلها وكأنها أشبه بسلسلة متصلة الحلقات لا تستطيع أن تفصل واحدة عن الاخرى . واولى هذه المراحل بدات بسن التمييز عند الرافعى الذى ولد فى أعقاب الاحتلال البريطانى ورأى الجنود البريطانيين بخوذاتهم اللامعة واحذيتهم الثقيلة وصلفهم وكبريائهم يجوبون شوارع القاهرة والزقازيق والاسكندرية وكل مدينة اتيحت له فرصة الوجود بها وينمو أمين الرافعى وينمو معه كراهيته للاحتلال الأجنبى الذى داس كرامة بلده بالنعال وراح يتحكم فى كل صغيرة وكبيرة من أمور شعبه الصبور المسالم .

ويتجه الرافعى الى القراءة لعلها تنسيه الهموم والأحزان التى سيطرت على قلبه وقلوب زملائه ثم يتجه فيما بعد وبعد ان مكنته القراءة الجادة من الحصول على جزء من المعرفة الى الاجتماعات الصغيرة المغلقة التى كان يعقدها فى سرية تامة وفى غفلة عن

الجواسيس وجنود الاحتلال بعض الوطنيين الشرفاء الذين لم يفقدوا الامل ـ رغم اكفهرار الجو وظلمته ـ في انقاذ بلدهم من المحتل الأجنبي ونرى الرافعي وهو يوشك ان يكمل دراسته الثانوية يشترك في بعض المهرجانات الوطنية والمظاهرات العامة التي يحاربها العدو بكل ما يملك من وسائل ونراه يخطب مرة ـ وهو الخجول ـ في احتفال السنة الهجرية وفي الاحتفال بالمولد النبوي ثم نراه يتشجع أكثر وأكثر : فيحضر بعض الاجتماعات العامة التي كان يعقدها مصطفى كامل بالاسكندرية ويرسل بعض المقالات التي كتبها الى بعض الصحف تحمل اسماء مستعارة ولم يكد أمين الرافعي ينهي دراسته التانوية في عام ١٩٠٥ بعد ان تأخر أكثر من عام بسبب المرض الذي كان يصيبه في وقت الامتحان حتى كان قد اختط لنفسه خطة في الحياة هي العمل السياسي الوطني تحت قيادة مصطفى كامل وفي خلال السنوات الأربع التي قضاها أمين الرافعي في مدرسة الحقوق كان سياسيا لامعا يكتب في غير أوقات المذاكرة والامتحانات في اللواء كما يحضر باستمرار الاجتماعات التي يعقدها مصطفى كامل في جريدة اللواء للمحررين العاملين في اللواء ، ويقود الرافعي المظاهرات الصاخبة ضد مدير مدرسة الحقوق الانجليزي وضد نظم التعليم الاستعمارية التي أريد فرضها على كلية الحقوق وهو أحد ثلاثة كانوا يختارون كل عام ابتداء من عام ١٩٠٦ لتمثيل طلبة مدرسة الحقوق في نادي المدارس العليا وهو يخوض المعارك الصحفية بأسلوب رشيق وعبارة سلسلة وفكر مستنير ضد كبار الصحفيين والسياسيين كلطفي السيد وعلي يوسف مما لفت اليه الأنظار وعندما تخرج أمين الرافعي من مدرسة الحقوق لم يجد تعبا ولا نصبا في شق طريقه في الحياة لقد أهله نشاطه الصحفي والاجتماعي والطلابي والسياسي في مدرسة الحقوق الخديوية أن يكون بسرعة خارقة من أوائل سياسي الحزب الوطني كتابة في تلك المرحلة التي بدأت في عام ١٩٠٩ وانتهت بنشوب الحرب الأولى كان أمين الرافعي كاتب الحزب

الوطنى الثانى بعد الشيخ عبد العزيز جاويش وخلال الفترات التى سجن فيها الشيخ جاويش او التى نفى فيها من مصر كان امين الرافعى الكاتب الأول للحزب الوطنى حتى بعد ان استقال من العلم وانشأ الشعب لم ينازعه احد من رجال الحزب الوطنى فى زعامته الصحفية بالرغم من كونه ليس رئيس تحرير جريدة العلم لسان حال الحزب الوطنى كان هناك اعتراف صريح وواضح ممن يؤيدون أمين الرافعى فى اللجنة الادارية للحزب الوطنى ومن يعارضونه بأنه اللسان الناطق والترجمان الصادق للحركة الوطنية وقد كان الرافعى فى هذه المرحلة من خيرة الكتاب المصريين على الاطلاق فهو لم يكن يكتب الا عن فهم ودراسة وايمان وهو لم يكن يكتب الا بصدق وجراة وحماس ، ولذلك اعتبر الاجـــراء الذى اتخـــذه أمين الرافعى باغلاق جريدة الشعب أوسع الجرائد المصرية انتشارا وأقواها نفوذا حتى لاتنشر قرار الحماية على مصر أخطر اجراء ووجهت به سلطات الاحتلال فى أعقاب اعلان الحماية على مصر وخلع الخديو عباس والمجيء بالسلطان حسين ويدخل الرافعى كما سبق أن ذكرنا السجن وينتقل من معتقل الى معتقل دون ان يتبدل له رأى أو اعتقاد ويتحمل الرافعى فى سجنه واعتقاله كل صنوف التعذيب وسوء المعاملة وعندما يفرج عنه يطلب منه السلطان حسين أن يعيد اصدار « الشعب » ويعده بكل مساعدة مالية ويرفض أمين الرافعى باباء وشمم ان يعيد اصدار الشعب بأمر السلطان قائلا ان الذى يملك اصدار ــ الشعب قيادة الحزب الوطنى ولا يستطيع الرافعى ــ وهو المحامى القدير الذى يستطيع ان يبنى القصور من المحاماة ــ أن يستمر فى عمله كمحام أكثر من عام واحد ليتفرغ للدراسة لايمانه بأن الليل يجب ان يعقبه النهار واعلان الاحكام العرفية وتقييد الحريات وملء السجون والمعتقلات بالابرياء لا يمكن أن يدوم الى الأبد اذن فلا بد للرافعى من أن يعد نفسه لذلك اليوم المقبـــل الذى يغضب فيه الشعب لكرامته ويثور ضد من اغتصبوا حقوقه وكادوا يفقدونه كل أمل فى التقدم والحياة الحرة ولذلك فان الرافعى

لم يكد يعرف نبأ اعلان الهدنة حتى ابتدأ يتحرك فيتصل بالقيادات الوطنية أو ماتبقى منها يفتح صفحات جديدة للزعماء والسياسيين الذين يعرفهم ويعرف أخطاءهم وانتهازيتهم وينغمر الرافعى فى أتون ثورة ١٩١٩ بكل ما يملك من قوة ويهب سعد زغلول زعيم هذه الثورة كل مالديه من جهد وعبقرية وكفاءة ومقدرة لقد وثق بسعد زغلول كما وثق به الشعب كله ولقد علق عليه الآمال الكبيرة كما علقها عليه الشعب بجميع فئاته وطوائفه ويصبح الرافعى كاتب الوفد الأول كما كان قبل قيام الحرب العالمية الأولى الكاتب الأول للحركة الوطنية ويختلف الى حد كبير مع قيادات حزبه الوطنى ويتعب الرافعى نفسيا بسبب هذا الاختلاف مع أحب الناس اليه ولكن الرجل وجد أن القضية المصرية اكبر من الاحزاب فآثر ان يقدم للملأ نموذجا حيا طيبا جريئا ينسى كل شيء حتى ماضيه القريب فى سبيل ما يعتقد أنه الحق •

ويصل الرافعى الى القمة وتصبح البلاد وتمسى ولا هم لها الا انتظار ما سيقوله الرافعى فى الأحداث التى تمر بها وتتوالى تلغرافات سعد زغلول وخطاباته الى الكاتب الشعبى القدير تطلب منه المزيد وتطلب من الاخرين ممن لهم حظوة عند الرافعى ان يشجعوه على المزيد وفجأة تبين للرجل ان الناس ليسوا كلهم مثله يسيرون على خط واضح فالوفد الذى أعلن انه لن يقبل المفاوضات الا على أساس التحفظات التى أيدتها الامة على مشروع ملنر يعلن عكس ماقاله من قبل ويعلن رغبته فى الدخول فى المفاوضات بدون قيد أو شرط ويعلن أمين الرافعى مخالفته للوفد المصرى الذى انضم اليه أكثر من ٩٩٪ من ابناء الشعب ويجاهر الرافعى باختلافه فى الرأى مع سعد زغلول الزعيم الجماهيرى الذى كان فى ريف مصر ومدنها أشبه بالمعبود ، يولد الطفل وهو يهتف بحياة سعد ، ينزل العجل الصغير من بطن أمه قائلا : سعد سعد حتى أوراق الفول والتوت والقطن وبقية المحاصيل الزراعية تظهر وعليها عبارات عاش سعد عاش سعد ، الى غير ذلك من الترهات والأكاذيب ، وتنطلق

المظاهرات الدامية تهدد الرافعي ، تهدده في جريدته ، في بيته في أعز الناس اليه ولكن الرافعي لا يتراجع عما قاله في الوفد ورئيسه قيد أنملة فتستمر المظاهرات الدامية تحرق اعداد الأخبار في وضح النهار ويستولى المتعهد الوحيد للصحف في مصر على نسخ الاخبار كلها ليعيدها الى الرافعي كما هي لأنه يأخذ ما هو أكثر من الثمن من جهات أخرى ويذهب الوسطاء الى الرافعي يرجونه أن يرأف بنفسه بولده بزوجه ، وأن يكف مجرد الكف عن معارضته للوفد ولسعد ولكن الرجل يصر على رأيه ويعلن على رؤوس الاشهاد :

اذا كان معنى الحياة أن الغير يسيرنا وان نكون آلة في يد كائن من كان فاننا نرفض هذه الحياة ونحتقرها لأننا ما عشنا الا للحرية وما وهبنا حياتنا الا لتكون احرارا ، احرارا في عقائدنا احرارا في أفكارنا ، أحرارا في آرائنا ، احرارا في خططنا واذا كانت حرية الرأى لم توجد في كثير من البلاد الا بعد أن ذهب فيها عدد كبير من الضحايا فليكن كاتب هذه السطور أول ضحية لاحترام حرية الرأى المصرى .

سألت استاذنا الكبير محمد نجيب الذى عمل مع الرافعي سنوات عديدة أن يذكر لى بعض الجوانب الخفية عن حياة الرافعي فقال . كان الاستاذ أمين الرافعي حريصا على أن تظهر صحيفته الأخبار بأحدث الاخبار حريصا على أن يكون سباقا فى التعقيب على الأحداث والاتجاهات السياسية .

كان يبكر فى الذهاب الى مكتبه في الاخبار ولم يكن هذا راجعا الى ان مبنى الجريدة الضخم يضم منزله الى جانب مطبعتها ومكاتب ادارتها وانما كان ذلك يرجع اول ما يرجع الى أن عادته جرت على الاستيقاظ مبكرا حتى أنه كان أول من يباشر عمله من المحررين وموظفى الادارة .

وكانت دار الاخبار تشغل المساحة الكبيرة التى تشغلها في الوقت الحاضر المدرسة اليونانية فى ميدان الفلكى وكان حرصه على

السبق فى التعقيب يدعوه الى الاطلاع على البرقيات الواردة من الخارج برقية برقية وكذلك صحف الصباح صحيفة صحيفة وخبرا خبرا فاذا رأى فيها ضالته المنشودة أسرع بالكتابة ودفع بالمقال الى المطبعة واذا لم ير هذه الضالة فانه يظل يرقب وينتظر حتى يتلقى نبأ من الانباء الجديرة بالتعليق دون أن يؤدى هذا الانتظار والترقب الى تأخير صدور الجريدة عن موعدها لأنه كان سريع الخاطر سريع الكتابة •

ولقد بلغ من خشية حكومات ذلك العهد من ان تفاجأ بعد ساعات من اصدار قانون أو اجراء ترى فيه مادة لهجوم أمين الرافعى عليها ان تحاول تفويت هذه الفرصة عليه فتذيع هذا القانون او الاجراء فى وقت تعتقد فيه أنه يتعذر فيه التعليق عليه حتى لايقترن الصدور بالهجوم فيكون له أثر سيىء ضدها فى الرأى العام •

ومع هذا فانه كان يفوت على هذه الحكومات غرضها فيلغى مقاله اليومى المعد للنشر اعدادا نهائيا ويكتب مقالا جديدا ينتقد فيه القانون الجديد أو الاجراء الجديد . أما اذا كانت هناك استحالة مادية تؤدى الى تأخير صدور الاخبار فانه كان يكتب اسطرا يعد فيها بالتعقيب فى اليوم التالى على أن هذه الاسطر لا تخلو من عبارة لاذعة تنطوى على النقد المر وكان المرحوم أمين الرافعى من كتاب عصره القلائل الذين يقسمون أوقاتهم ويوزعونها بين عملهم وراحتهم وصحيح أنه كان يختلس من وقت راحته ما يضيفه الى وقت عمله ولكنه لم يكن ليعمد الى العكس كما ان مكتبه كان منظما تنظيما يدعو الى الاعجاب فاذا احتاج الى كتاب او قانون أو ملف ليراجعه ليدعم مقاله به ويعززه فانه لا يضيع وقته فى البحث عنه فى هذا الدرج أو فى ذاك أو فى هذا الدولاب أو ذاك بل انه يضع يده عليه ويتناوله من مكانه فورا دون أن يعتمد على سكرتير أو موظف يعاونه فى ذلك فقد كان رؤساء تحرير الصحف لا يعترفون بالسكرتير أو السكرتيرة وكان من الكتاب القلائل الذين لايعتمدون

على الذاكرة وحدها بل على نصوص القوانين أوالخطابات أو البيانات وكان رحمه الله يعتمد على الارشيف اعتمادا كبيرا فى تقديم الحجة والبرهان ضد خصومه السياسيين حتى لا يخطىء أو تخونه ذاكرته وكان يصرف ساعات من وقت فراغه فى تنظيم أرشيفه وتبويبه فقد كان يقص من كل صحيفة ما يحتمل ان يرجع اليه من الأخبار أو القوانين أو البيانات أو الخطابات وكان ذلك يكلفه كثيرا من الجهد والوقت . ولقد أصبح هذا الارشيف ثروة صحفية ضخمة ، ولا أظن أن احدا من الصحفيين قد سبقه فى اعداد أرشيف صحفى كأرشيفه الذى كان يعد مرجعا تاريخيا . واسأل استاذنا نجيب هل كان الرافعى منطويا على نفسه فيقول : فى اعتقادى أن ما وصف به أمين الرافعى من أنه كان منطويا على نفسه لم يكن صحيحا الى حد كبير . ذلك أن الرجل كان يكرس كل وقته لعمله الصحفى فلم يكن هذا العمل المضنى الذى اخلص له وتفانى فى حبه واغرق نفسه فيه الى جانب ما اقترن به من المشكلات الضخمة والمؤامرات الدنيئة التى كانت تدبر للقضاء على صحيفة الاخبار وهذا يعنى القضاء عليه سياسيا ــ كل هذا حد من اختلاطه بالناس فى الأندية العامة على أنه كان يختلس فى بعض الليالى ساعات من وقته ويقضيها مع زملائه وأصدقائه فى محل (صولت) أو فى بعكوكة وحيد بك الأيوبى .

واسأل الاستاذ محمد نجيب عما يعرفه عن نزاهة أمين الرافعى وعفته وطهارة يده فيقول : كنت ذات يوم مع استاذى أمين الرافعى فى مكتبه بدار جريدتى اللواء المصرى والاخبار بعد توحيد الجريدتين بسبب الأزمة المالية ، فجاء مدير الحسابات يعرض عليه شيكا بمبلغ ٢٠٠ جنيه واردا من شركة مياه القاهرة قيمة اشتراك الشركة فى عددين من الجريدة وطلب منه توقيع الشيك لقبض قيمته من البنك لانه وارد باسمه .

ولم نكن نحن الذين ضمنا المكتب ننتظر الا ان يوقع أمين الرافعى الشيك وتقبض الادارة المبلغ ولكنا فوجئنا به يطلب من مدير

الحسابات رد الشيك وأن يبلغ الشركة بقيمة العددين اللتين تطلب الاشتراك فيهما وبدا على مدير الحسابات ما يدل على عجبه من رد الشيك على حين أن خزانه الجريدة خاوية وان مبلغ مائتى جنيه فى هذا الوقت مبلغ محترم يكاد يكفى مرتبات المحررين شهرا كاملا ويتباطا فى تناول الشيك وادرك أمين الرافعى مبعث هذا التباطؤ فقال لمدير الحسابات أننا لا نشترى وقبول هذا المبلغ معناه تكميم فمى والتغاضى عن احطاء الشركة وهو مالا يقبله صحفى شريف ٠٠ وذكر الزميل محمد نجيب قصة أخرى فقال : فوجئت ذات يوم بزميل كانت له علاقات طيبة بالوزارة القائمة وكانت من الوزارات الرجعية فوجئت به يسالنى فى غضب شديد : هل أمين الرافعى ده عايز يموت ويحرب بيوت الناس اللى بتشتغل معاه ٠ مش كفاية هو بينتحر ؟ فقلت لماذا ؟ - فقال اسمع ياسيدى فلان باشا (وكان وزيرا للداخلية) سمع أن الحجوزات تتوالى على الاخبار وعلى بيت أمين الرافعى فكلفنى ابلاغه أنه - اى الباشا - مستعد لسداد كل الديون بلا مقابل ٠٠ أى أن يظل معارضا للوزارة ٠٠ ولكن بشرط مهاجمة الوزارة السابقة وكانت وزارة وفدية ٠٠ تصور انه مع هذا السخاء من الحكومة ومع محافظتها على كرامته مع هذا كله رفض بدون أى تردد ٠ ومضى صديقى فقال معقبا ده راجل فاكر اننا عايشين فى عصر « ابن حنبل » ويسألنى صديقى هذا عمن يستطيع التأثير على أمين ليقبل قلت له لاتحاول ٠٠ فأى محاولة ليست مجدية فالرجل على قدر ماهو عليه من الكياسة ودماثة الخلق على قدر نزاهته وطهارته ٠

وأسأل السيدة الجليلة قرينة المرحوم أمين الرافعى ، عن بعض النواحى الخاصة فى حياة الفقيد فتقول : كان الرافعى يرى أن دور المرأة فى المجتمع ضرورى وهام مثل دور الرجل تماما ٠

وكان مثل هذا الرأى متقدما جدا فى عصره وكان صديقا لكل الناس وكان مؤمنا الى درجة تكاد تكون مثالية ٠ مات ولده عبدالرحمن

بالدفتيريا ، وعندما سمع الصراخ الذى صحب الوفاة قام يصلى واتكفأ على السجادة يبكى وقد أصيب بمرض السكر بعد وفاة ابنه وكانت الجهود التى بذلها فى آخر ايامه وعدم التزامه اوامر الطبيب واصراره على أن يشرف على الاخبار ويكتب كل يوم اكثر من مقال من الاسباب التى عجلت بوفاته ــ بعد ان ترك بنتين وولدا ــ فى يوم الخميس ٢٩ من ديسمبر سنة ١٩٢٧ .

ان حياة امين الرافعى أسطورة مجيدة خالدة سجلها شاعر النيل حافظ ابراهيم فى قصيدة له نشير ــ مجرد اشارة ــ الى بعض ابياتها :

ظلم من القبر أن تبلى أنامــله ... فكم رمت فى سبيل الله من خانا

عشرون عاما على الطرس الطهورجرى ... ما خط فاحشة أو خط بهتانـا

أمين فارقتنا فى حين حاجتنــا ... الى فتى لا يرى للمال سلطـانا

أيلبس الخز من لانت مهــزته ... وانت تخرج من دنياك عــريانا

ان القناعة كنز كنت حارســه ... ترى به القوت ياقوتا ومرجـانا

فما سعيت لغير المجد تكسبه ... ولا رضيت لغير الحق اذعانـا

أودى به السكر المضنى ولاعجب ... ان يورث الحلو مرالعيش احيانا

بلغ ثلاثتكم عنـــا تحيتنا ... واذكر لهم ما يعانى قومنا الآنا

واضرع الى الله فى الفردوس مبتهلا ... أن يحرس النيل ممن رام طغيانا

مطابع شركة الاعلانات الشرقية

ان كتاب « أمين الرافعي » يحكي قصة من اشرف القصص لجهاد صحفي وسياسي ووطني فقد كان أمين الرافعي نموذجا مشرفا للصحفيين والسياسيين وقادة الرأى العام .

وقد تولى الاستاذ الكبير عبد الرحمن الرافعي شقيق المناضل أمين الرافعي طيب الله ثراه . تقديم هذا الكتاب بعد أن اطلع على اصوله قبل ان يلقى ربه بفترة قصيرة .

وكتب الاستاذ الكبير فكرى اباظة مقدمة اخرى لهذا الكتاب تناول فيها الكثير عن زميله أمين الرافعي وتلميذه صبرى أبو المجد .

ان كتاب أمين الرافعي ليس كتاب تاريخ فحسب بل هو مسيرة لتاريخ رجل لعب دورا خطيرا في تاريخ مصر الصحفي والوطني ، أغلق أمين الرافعي جريدته « الشعب » مع بداية الحرب العالمية الاولى حتى لاينشر اعلان الحماية على مصر .

وامين الرافعي صاحب فكرة الدعوة لعقد اجتماع البرلمان المصرى من تلقاء نفسه بعد أن حله زيور باشا .

وكان أمين الرافعي من أصدق واشرف من حمل القلم واكثرهم جرأة وايمانا بالحق .

وفي اعقاب الحرب اصدر أمين الرافعي صحيفة الاخبار فكانت لسان حال الحركة الوطنية وثورة سنة ١٩١٩ .



المؤلف



مطابع شمس